

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

Faculté : des lettres et des langues
Département langue et lettre arabe



جامعة 8 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

N° :

الرقم:

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستر

(تخصص أدب جزائري)

الواقعية في رواية " الأرض والدم "

لمولود فرعون

مقدمة من قبل: فاطمة الزهراء درغوم

تاريخ المناقشة: 24 جوان 2018

الصفة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	أستاذ مساعد أ	يزيد مغمولي
مشرفا ومقررا	أستاذ مساعد أ	إبراهيم كربوش
ممتحنا	أستاذ مساعد أ	نصر الدين شيحا

الموسم الجامعي: 2018/2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار .. إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من أحمل
أسمه بكل افتخار .. أرجو من الله أن يمد في عمرك لتري ثماراً قد حان قطافها بعد طول
انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد..

والدي العزيز رشيد

إلى ملاكي في الحياة .. إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتقاني .. إلى بسمه الحياة
وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة حياة

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي

فاتح، نصر الدين، وفاء وزوجها، نورة وزوجها.

وأبناء أخواتي إياد وألين، ميار الندى، سيرين، جاد ولينا.

إلى كل عائلتي الكريمة بالأخص وخالي أحمد وخالتي راضية وبشرى وعمتي فتيحة.

إلى الأخوات اللواتي لم تدهن أمي .. إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير إلى من
عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي زهرة، منى، إيمان، جوهرة.

فاطمة الزهراء

كلمة شكر

" كن عالماً ... فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم "

لا بد لي وأنا أخطو خطواتي الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفه أعود إلى أعوام قضيتها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لي الكثير باذلين بذلك جهود كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد ... وقبل أن أمضي أود أن أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة...

إلى الذين مهدوا لي طريق العلم والمعرفة ... إلى جميع أساتذتي الأفاضل ... وأخص بالتقدير والشكر: الأستاذ الفاضل إبراهيم كربوش الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث فجزاه الله عني كل الخير وأقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ ".

وكذلك أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث وقدم لي العون ومد لي يد المساعدة وزودني بالمعلومات اللازمة لإتمامه من قريب أو بعيد.

مقدمة

مقدمة

لقد عني تخصص الدراسات الأدبية بصفة عامة بمختلف البحوث والدراسات التي تتناول الأدب العربي، وتتناول تسجيل التاريخ الأدبي ومكان ظهور المذاهب الأدبية في العصر الحديث، وارتباطها بشتى ميادين النشاط الإنساني من أدب وفلسفة وغيرها، أثر في التنوع الإبداعي الأدبي فكان للأدب نصيب وخاصة حينما انتشرت هذه المذاهب في الساحة الأدبية التي امتازت بغزارة إنتاجها وتنوع اتجاهاتها.

تشكلت إرهابات المذهب الواقعي وبدأت معالمه تتحدد شيئاً فشيئاً عندما نادى بعض الأدباء بضرورة دخول الفن والأدب إلى المجتمع، فتناول الأدباء قضايا الواقع فكانت الرواية من أبرز الأجناس الأدبية، وخاصة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية التي تحقق فيها هذا المذهب بشكل واضح، لذلك ارتأيت أن أخص هذا الموضوع بالبحث والدراسة تحت عنوان " الواقعية في رواية الأرض والدم " لمولود فرعون.

ولعل من أبرز ما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أمور عديدة من بينها: قلة الدراسات الواقعية التي تناولت الأدب الجزائري باللغة الفرنسية. وكذا رغبتني في التعرف عن قرب على هذا المذهب والغوص في ثناياه والوقوف على خصائصه ومميزاته، على فكان هدفي الذي أسعى إليه من هذه الدراسة هو الكشف عن واقعية هذه الرواية وهي ذات اتجاه اشتراكي بارز والوقوف على مدى إخلاص الكاتب لهذا الاتجاه، وتحدثت عن أهمية الموضوع والتي تكمن في التعريف بالمذهب الواقعي واتجاهاته في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

واعترضتني بعض الصعوبات منها لقلّة المصادر والمراجع، وكذا قلة الدراسات الواقعية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية. وعلى الرغم من ذلك فإنني حاولت قدر المستطاع الإلمام بجوانب هذا الموضوع والتحكم فيه، وقد ساعدني على تجاوز هذه الصعوبات مجموعة من المصادر والمراجع وعلى رأسها منهج الواقعية في الإبداع الأدبي

لصلاح فضل، وكذلك اتجاهات الرواية العربية في الجزائر لواسيني الأعرج، ودراسات في الأدب الجزائري المعاصر لسعاد محمد خضر.

ولا شك أن الموضوع يطرح العديد من المشكلات والتساؤلات أهمها:

- ما مفهوم الواقعية؟

- وما هي أهم اتجاهاتها؟

- وهل الرواية الجزائرية صورت أحداث الواقع المعيش فعلا؟

ولا شك أن أي بحث يحتاج إلى خطة تحدد اتجاه الدراسة وتوضح معالمها، لذا جاءت خطة البحث كالتالي: مقدمة وفصلين، تناولت في الفصل الأول المبحث الأول: مفهوم الواقعية لغة واصطلاحاً ونشأة الواقعية وتطورها واتجاهاتها أما المبحث الثاني: نشأة الرواية الجزائرية ولمحة عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وأهم روادها وقد جاء الفصل الثاني: الحديث عن البناء الفني للرواية والذي تضمن (العنوان، الشخصيات، الزمان، المكان، اللغة، الحوار) ثم خاتمة والتي أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي هذا، ثم يليه ملحق والذي تضمن تلخيص الرواية والتعريف بالكاتب إلى جانب قائمة المصادر والمراجع وقد جمعت في بحثي هذا بين النظري والتطبيقي لتوضيح الرؤية وجعلها قريبة من القارئ وفي متناوله. وحتى أخرج من هذه الدراسة بنتائج مهمة اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، والذي جاء مناسباً لهذه الدراسة التي قمت بها.

وعلى العموم فإن مولود فرعون وغيره من الكتاب الجزائريين لم يبدعوا باللغة الفرنسية إلا للتعبير عن هموم وطنية وقومية وإنسانية، لأنهم عاشوا حقيقة الشعب الجزائري، وأغراض التعبير عن واقعه، واعتبروا كتاباتهم كسلاح ضد الاستعمار.

الفصل الأول

المبحث الأول: الواقعية في الأدب.

1- مفهوم الواقعية:

أ- لغة: سأطرق إلى التعريف اللغوي لمصطلح الواقعية وذلك بالاعتماد على ما ورد في المعاجم القديمة:

"جاء في لسان العرب " لابن منظور " وقع: وقع على الشيء ومنه يَقَعُ وَقَعًا وَوُقُوعًا: سَقَطَ، وَوَقَعَ الشَّيْءُ مِنْ يَدِي كَذَلِكَ، وَأَوْقَعَهُ غَيْرُهُ وَوَقَعْتُ مِنْ كَذَا وَعَنْ كَذَا وَقَعًا، وَوَقَعَ الْمَطْرُ بِالْأَرْضِ، وَلَا يُقَاسُ سَقَطَ، هَذَا قَوْلُ أَهْلِ اللُّغَةِ، وَقَدْ حَكَاهُ هُوَ سَبِيوِيهِ فَقَالَ: سَقَطَ الْمَطْرُ مَكَانَ كَذَا فَمَكَانَ كَذَا وَمَوَاقِعُ الْغَيْثِ: مَسَاقِطُهُ، وَيُقَالُ: وَقَعَ الشَّيْءُ مَوْقِعَهُ"¹.

"ورود فيه أيضا: وَقَعَ الْقَوْلُ وَالْحُكْمُ إِذَا وَجَبَ"²، وقوله تعالى « وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ »³ وقوله تعالى « وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ »⁴. "معناه أصابهم ونزل بهم ووقع منه الأمر موقعا حسنا أو سيئا: ثبت لديه"⁵.

"والواقعة الداهية والواقعة: النازلة من صُرُوفِ الدَّهْرِ، والواقعة: اسم من أسماء يوم القيامة وقوله تعالى: « إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَئِيسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ » يعني القيامة، ويقال أيضا الواقعة والوقية: الحرب والقتال، وقيل: المعركة، والجمع الوقائع، وقد وقع بهم وأوقع بهم في الحرب والمعنى واحد، وإذا وقع قوم بقوم قيل: واقَعُوهم وأوقَعُوا بهم إيقاعًا"⁶.

¹ ابن منظور : لسان العرب، دار صادر بيروت، م8، (د-تح)، (دت) ص: 403.

² م . ن، ص: 403.

³ سورة النمل، الآية: 82.

⁴ سورة الأعراف، الآية: 134.

⁵ ابن منظور: لسان العرب، ص: 403.

⁶ م . ن، ص: 403.

وَالْوَقِيعَةُ فِي النَّاسِ: الْغَيْبَةُ، وَوَقَعَ فِيهِمْ وَوُقُوعًا وَوَقِيعَةً: اغْتَابَهُمْ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَذْكَرَ فِي الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ فِيهِ ... وَالْوُقُوعُ، بِالسُّكُونِ: الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْجَبَلِ.¹

وجاء في المعجم الوسيط " لإبراهيم مصطفى " وآخرون من مادة (وَقَعَ) - (يَقَعُ) وَقَعًا وَوُقُوعًا ... ووقع الحق: ثبت، ووقع القول عليه: وجب ووقع الكلام في نفسه: أثر فيها ... والواقع الذي ينفر الرّحى (ج) وقعة والواقع الحاصل، يقال: أمر واقع، وطائر واقع إذا كان على شجر أو نحوه (ج) وُقوع، ووُقِع.²

وجاء في معجم " مقاييس اللغة " الواو والقاف والعين أصل واحد يرجع إليه فروعه، يدل على سقوط شيء، يقال: وقع الشيء وُقوعًا فهو واقع ... والوقائع: مناقع الماء المتفرقة، كأن الماء وقع فيها ... ومَوْقَعَةُ الطَّائِرِ: موضعه الذي يقع عليه.³

من خلال ما سبق أجد أن مصطلح الواقعية في المعنى اللغوي أنه مصدر مشتق من الفعل الثلاثي " وقع " فهو يعني الوقع على الشيء، أي يقع وقعا ووقوعا.

ب- اصطلاحا:

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية وتنوعت " للواقعية " وذلك باختلاف ميادين الحياة وكذلك اتجاهات النقاد والأدباء، وهذا التنوع والتعدد في ضبط المفهوم راجع إلى اختلاف مجالات وميادين النشاط الإنساني، فمثلا الواقعية عند الفلاسفة تختلف في مفهومها عند الأدباء وأيضا عند الفنانين.

¹ م . س . ص: 405.

² إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط ج1، دار الدعوة استانبول، تركيا، 410 هـ-1989، ص: 1050-1051.

³ أحمد بن فراس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1972، ج6، ص: 133-134.

فمثلا الواقعية في الفلسفة هي: « نظرية تؤكد وجود العالم الخارجي مستقلا عن الفكر »¹ وجاء في المعجم الوسيط عن الواقعية في الفلسفة: " مذهب يلتزم فيه التصوير الأمين لمظاهر الطبيعة والحياة كما هي، وكذلك عرض الآراء والأحداث والظروف والملابسات دون نظر مثالي"².

أي أن الواقعية تصف العالم الخارجي وتصوره تصويرا صادقا، وتصور الأحداث الحية فيه.

أما فيما يخص الواقعية في مفهومها الأدبي فهي تعني " نقد الحياة وكشف عما فيها من شرور وآثام لأن هذا الكشف هو الذي يظهر واقع الحياة، أي حقيقتها الجوهرية الأصيلة الدفينة"³.

والواقعية كذلك هي: "مذهب أدبي يعتمد على الوقائع ويعنى بتصوير أحوال المجتمع"⁴.

ويعنى بذلك تصوير الحياة تصويرا دقيقا وواقعيًا، وكشف المساوئ، فهي نقل وتصوير للحياة الاجتماعية والمشاكل اليومية التي يعيشها الشعب دون إغراق في المثاليات أو التماس الخيال فيها.

وتعني الواقعية في علم الجمال " كل فن يحاول أن يمثل الأشياء بأقرب صورة لها في العالم الخارجي والواقعية هنا ... لا بد أن تتأثر بميول الفنان "⁵.

¹ جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط2، يناير 1984 ص: 287.

² إبراهيم مصطفى وآخرون: م . س، ص: 1051.

³ جبور عبد النور: م . ن، ص: 288.

⁴ إبراهيم مصطفى وآخرون: م . ن، ص: 1051.

⁵ مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان - بيروت - ط2، 1984 ص: 428.

"والواقعية جماليا هي كل شكل من أشكال الفن الراضة لأمثلة الواقع (لجعل الواقع مثالي)، ويسعى لإبراز الأشياء كما هي"¹. وذلك يعني محاولة تصوير الأشياء الموجودة في الواقع تصويرا يشبه إلى حد كبير على ما هي عليه في الحقيقة، فهي ترفض أن يكون مثاليا وليست هناك واقعية مطلقة وذلك نتيجة تأثير رغبات وميول الفنان.

يقول هنري جيمس وهو من رواد الواقعية الأمريكية أن الواقعية عند بلزاك هي: "انعكاس الطبيعة الخارجية على روح الفرد"².

"الواقعية ليست الأخذ عن واقع الحياة وتصويره بخيره وشره كآلة الفوتوغرافية كما أنها ليست معالجة لمشاكل المجتمع ومحاولة حلها أو التوجه نحو هذا الحل ... وإنما هي فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء وتفسيرهما"³.

وبعد هذا العرض الذي تناولت من خلاله مفهوم الواقعية لغة واصطلاحا، أجد أنها تختلف في تعريفها باختلاف ميادين النشاط الإنساني، وأن للواقعية مذهب أصيل الجذور، سواء في الأدب أو في الفلسفة والفن أيضا. فهي إجمالا تعبر عن ذلك الأدب الذي يصور الحياة الاجتماعية والمشاكل اليومية لعامة الشعب إذ أنها تدرس جميع طبقات المجتمع انطلاقا من الطبقات النبيلة والمسيطرة إلى الطبقات الفقيرة من عمال وفلاحين.

2- نشأة الواقعية وتطورها:

جاءت الواقعية كرد فعل على الرومانسية التي أفرطت في الخيال والهروب من الواقع الاجتماعي، ولم تبرز الواقعية مدرسة واضحة السمات إلا بعد منتصف القرن التاسع عشر،

¹ جبور عبد المنعم: المعجم الأدبي، م . س، ص: 287.

² حلمي مرزوق: الرومانتيكية والواقعية في الأدب "الأصول الإيديولوجية"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان - 1983 ص: 59.

³ محمد منذور: الأدب ومذاهبه، (دط)، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د ت) ص: 94.

ولكن الفلاسفة والفلسفة الواقعية كانوا أسبق من الأدباء والأدب في استخدامها منذ زمن بعيد إذ كانت الفلسفة تضي عليها دلالات ومفهوم يختلف عن المفهوم الأدبي إلى حد كبير.

فقد تحدث الفيلسوف كانت في كتابة « نقد العقل الخالص سنة 1790 عن المثالية وواقعة الأهداف الطبيعية كما يقدم " شيلينج " في إحدى مقالاته سنة 1795 تعريفا للواقعية الخالصة على أنها هي التي تؤكد اللا أنا، أي ما هو خارج الذات، ويتداول الفلاسفة بعد ذلك مصطلح الواقعية لمعارضة المثالية»¹.

لقد ظهرت الواقعية في القرن التاسع عشر على شكل اتجاه أدبي « وفي هذا القرن لم يكن لهذا المذهب في هذا القرن أسس نظرية واعية، بل كان اتجاها عاما يشمل كثيرا من نواحي النشاط الروحي فقد بدأ في الرسم وانتقل إلى الأدب، فالرسام كورييه (1819-1877) الفرنسي أول من تأثر باتجاه العصر في الفن، ودعا إلى الواقعية في الرسم ... ثم نقل الدعوة إلى الأدب " شانفلوري " (1821-1889) صديق الرسام، وكتب مجموعة مقالات عنوانها " الواقعية " 1857»².

يشير صلاح فضل إلى تاريخ الواقعية حيث أن « بداياته كلمة عامة تعبر عن مجرد تمثيل الطبيعة أصبح مصطلحا دقيقا لمجموعة من الكتاب الكبار على رأسهم في الجيل الأول "ستندال " و " بلزاك " ثم جاء الجيل الثاني ... مثل " فلوير " الذي كان يرفض أن يسمى واقعيا»³.

"وقد كان أثر " بلزاك " حاسما في انتصار الواقعية، إذ أنه هو الذي أدخل مصطلح "Milieu" الفرنسي الذي يعني البيئة أو الوسط بكل موحياته المتشابكة في الأدب، ونقله عنه

¹ صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف القاهرة، ط 2، 1980، ص: 11.

² نسيب الشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، الإبتاعية، الرومانسية الواقعية، الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د ط)، 1984 ص: 326.

³ صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص: 15.

علماء الاجتماع وكبار النقاد والكتاب مثل " تين " و " زولا "، وتعد مقدمته التي كتبها عام 1842 لمجموعته القصصية الكبرى " الكوميديا البشرية " والتي أذاع فيها هذا المصطلح لأول مرة بمثابة الإعلان عن المذهب الواقعي".¹

"أما في الولايات المتحدة الأمريكية فسرعان ما ترددت أصداء الواقعية الفرنسية حيث تحسس لها بعض النقاد الذين تزعمهم " هنري جيمس " حوالي عام 1864 ونصح بدراسة (النظام الواقعي الشهير) ومن هنا فإن هذا الكاتب قد اعتبر بعد ذلك حامل لواء المدرسة الواقعية الأمريكية".²

"وتردد المصطلح بعد ذلك في الأدب الألماني، لكنه لم يأخذ شكلا محددًا حاسمًا إلا في كتابات " ماركس " و " أنجلز ".³ إذ يشير هذا الأخير إلى أهمية نماذج بلزاك.

"وفي إنجلترا نجحت في النصف الأول من القرن التاسع عشر جهود الروائيين الكبار مثل ديكنز وثاكري وبرونتي في تعرية البرجوازية والرأسمالية والروح العسكرية الاستعمارية ومادية العصر الفضة والقيم الزائفة، وفضحوا أكاذيب السلطة والطبقات العليا فيما تصدره من قوانين".⁴

"أما في إيرلندا فقد ظهر الكاتب توماس كارلايل الذي أصدر كتابة (الماضي والمستقبل) عام 1843 وحكم فيه على المجتمع البورجوازي بالانحلال، وانتقد تكديس الثروات

¹ صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، م . س ، ص: 15.

² م ن، ص: 17-18.

³ م ن، ص: 18.

⁴ عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب - مع ترجمات نصوص: لأبرز أعلامها - ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، (دط)، 1999 ص: 105.

وبذخ الأغنياء بينما يموت الشعب من الفاقة والبطالة، وشخص عيوب النظام الرأسمالي الجشع وتناقضاته والآفات الاجتماعية والأخلاقية".¹

"أما في روسيا فقد بشر غوغول بالواقعية في النصف الأول من القرن التاسع عشر ثم جاء دوستوفسكي ليؤكد هذا الاتجاه وكانت الواقعية الروسية أكثر تعمقا في النفس الإنسانية".²

"ولاشك أن فرنسا من أكثر البلاد ولعا بنقد الذات وشغفا بالنزعة الفردية، ولهذا فقد عبر الأدب الفرنسي في كثير من الأحيان عن المشاعر الأوروبية بأكملها..... ومن ناحية أخرى فإن الأدب الفرنسي قد عني بالفرد المنعزل بنفس القدر الذي اهتم فيه بالمجتمع كوحدة متكاملة وبمشكلة حفظ التوازن بينهما".³

"ويرى مؤرخو الحركة الواقعية أن أولى مراحلها التي تسمى عادة بالواقعية العظمى قد سادت في فرنسا وانتشرت منها إلى أوروبا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر... ازدهار الواقعية قد استمر خلال النصف الثاني من القرن الماضي كذلك".⁴

ومن هنا يتبين أن للواقعية ملامح وجذور كانت عبارة عن محاولات يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن التاسع عشر، فالواقعية كمذهب أدبي تسعى إلى تصوير الواقع كما أجدها مرتبطة بالنتر (القصص أو المسرحيات النثرية، الرواية) أكثر من نظم القصائد.

3- اتجاهات الواقعية:

تتميز الواقعية عن غيرها من المذاهب الأدبية الكبرى بتعدد أنواعها، مما جعل دراستها

¹ م . ن، ص: 105.

² م . س، ص: 105.

³ صلاح فصل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، ص: 22.

⁴ م . ن، ص: 31-32.

منطلقا لإثارة المسائل الفكرية والفنية وتعتبر منعرجا مهما في تاريخ النقد الأدبي ومن أنواع الواقعية أذكر: الواقعية النقدية و الواقعية الطبيعية والواقعية الاشتراكية والواقعية السحرية، إلا أنني سأرصد أهم أنواعها، كما أن الرواية التي تناولت دراستها " الأرض والدم " لمولود فرعون نوعها هو الواقعية الاشتراكية.

أ- الواقعية النقدية:

"وتسمى أيضا الواقعية الأوروبية أو المتشائمة أو الناقدة، والمقصود بها المذهب الواقعي الأصلي الذي ساد في فرنسا و بلاد أوروبا لدى معظم الكتاب"¹.
"فقد ظهرت منذ أوائل القرن التاسع عشر وسارت موازية للمدرسة الرومانسية بطبيعتها تميل إلى التشاؤم لأن الشر بالنسبة لها عنصر أساسي في النفس البشرية، وهي ترى أن كل مهمتها تتركز في الكشف عن حقيقة الطبيعة البشرية"².

وتعتبر الواقعية الأم فهي تكشف عن خبايا وتناقضات المجتمع وتعريته، وسميت بالمتشائمة لأنها تفضح خبايا الشر في الإنسان فهي تسعى لفهم الواقع ونقده.

"يعد الروائي الفرنسي بلزاك *، أشهر ممثل للواقعية النقدية ... رغم انتماءاته السياسية البرجوازية، ورغم تعاطفه مع الملكية إلى أن كتاباته تعكس إيديولوجية تقدمية وتحررية ذلك، أنه يجب أن نفرق بين إيديولوجية الكاتب بوصفه مواطنا وإنسانا وإيديولوجية كتاباته

¹ عبد الرزاق الأصغر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، م . س، ص: 105.

² نبيل راغب: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1988 ص: 31-32.

التي لا تخضع إلا لمنطق الكتابة ونسيج الدلالات".¹

أجد كتابات بلزك عكس انتماءاته رغم أنه كان ملكيا، إلا أنه في أدبه كان يساريا غير متقبل للواقع الاجتماعي.

وللواقعية النقدية خصائص متعددة يمكن إجمالها فيما يلي:

- "النزول إلى الواقع الطبيعي والاجتماعي والانطلاق منه، أي الارتباط بالإنسان في محيطه البيئي وتفاعله وصراعه مع المحيط الطبيعي والاجتماعي".²

فحياة الإنسان ترتبط بالموجودات أي مجتمعه وبيئته كما أن للتاريخ تأثير عليه، فحياته تدور ضمن الواقع والحقيقة بعيدا عن الخيال والأحلام.

- "حيادية المؤلف: وهي تعني العرض والتحليل وفق واقع الشخصية وطبيعة الأمور وبشكل موضوعي لا وفق معتقدات الكاتب ومواقفة السياسية أو الدينية أو المزاجية أو الفكرية أو القيمية"³.

يجب أن يكون الكاتب موضوعيا، مبتعدا عن آرائه وميولاته وعدم تأديته دور الحاكم بل يجب أن يخلق انتباه القارئ سواء إعجاب بشيء أو العكس فهو يوضح للقارئ أوضاع المجتمع في انتظار إيجاد الحلول.

* أونوريه دي بلزك (20 مايو 1977 - 18 أغسطس 1850) روائي فرنسي، يعتبر مع فلوبر مؤسسا للواقعية في الأدب الأوروبي، إنتاجه الغزير من الروايات والقصص، يسمى في مجموعة الكوميديا الإنسانية.

¹ الطيب بودربالة، السعيد جاب الله: الواقعية في الأدب مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، فيفري 2005، ص: 05.

² عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، م . س، ص: 106.

³ م . ن، ص: 108.

- "التحليل: أي البحث عن العلل والأسباب والدوافع والنتائج فلكل ظاهرة اجتماعية سبب والظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعية تخضع لمبدأ السببية"¹.
الكاتب يبحث عن سبب وقوع ظاهرة اجتماعية ما سواء كانت سياسة أو اجتماعية أو دينية وذلك لتوضيح الأمور للقارئ وفك شفرة الإبهام وبالتالي إثارة ملكته العقلية في إيجاد الحلول.

- "الفنية الواقعية: إن النص الواقعي ليس كتابة لبحث علمي أو تقرير صحفي، إنه والأدب فن، وكل فن يبتغي الجمال ... للواقعية جمالياتها التي تتلخص خصائصها في ما يلي:
فضل الواقعيون النشر على الشعر ...، اللغة المأنوسة الواضحة البعيدة عن التوعر والتكلف ...، الإبداع والخلق، أي تركيب عالم شبيه بالواقع وليس نسخة أمينة عنه ... البعد عن التقرير والمباشرة و الخطابة والوعظ، تجنب الإكثار من التفصيلات"².

فضل الواقعيون النشر لان لغته أقرب للناس ولواقعهم لذا أجد أن الرواية تحتل الصدارة في الواقعية لأنها الأنسب لسرد ووصف الأحداث والتحليل، ثم تليها في المرتبة المسرحية ثم الشعر الذي جاء متأخرا عنهم.

ب- الواقعية الإشتراكية:

"تعتبر نظرية الواقعية الإشتراكية في الأدب من أشهر من أشهر النظريات في الفكر اليساري وقد تم وضع الأسس لهذا الاتجاه في كتابات مؤسسي الإيديولوجيا الماركسية بالإضافة إلى تلاميذهم، ويمكن اعتبار الواقعية المذهب الرسمي الذي تبناه اتحاد الكتاب الروسي"³.

¹ م . ن، ص: 108.

² م . س، ص: 109-110.

³ يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة، ط 1، 1414-1994، ص: 32.

الذي تبنى الفكر اليساري، وهو تيار فكري وسياسي يسعى لتغيير المجتمع وتحقيق المساواة بين أفرادهِ حيث يرجع أصل اليسارية إلى الثورة الفرنسية لذلك هي تتفق مع الإشتراكية في المبادئ، فالواقعية الإشتراكية هي المذهب الأدبي الملازم للماركسية والمنحاز للطبقة العاملة.

وقد ظهر هذا الاتجاه في ثلاثينيات القرن العشرين في الاتحاد السوفياتي، فالواقعية الإشتراكية لم تتبع من فراغ، بل نتيجة ظروف اقتصادية وثقافية وتاريخية حيث استطاعت أن تكشف عن الفساد في المجتمع البرجوازي، فنادوا بالملكية الجماعية أو الاجتماعية للحد من السيطرة والاستغلال، وذلك هو صلب قضية التحرر عند الواقعية الإشتراكية في الأدب والفن ومن روادها الكبار مايا كوفسكي (شاعر روسي)، ماكسيم جوركي (أديب روسي)، أرغون (فرنسي)...

" تكتسب الواقعية بعدها الإنساني، لتصبح النتاج الشرعي للتاريخ البشري في تطوره... فالوضع التاريخي الجديد، والنكبات، والاضطرابات الثورية التي أصابت العالم قد أدت إلى ولادة الواقعية الإشتراكية، والتي استجاب ظهورها إلى مقتضيات التاريخ العميق العضوية"¹.
وحسب رأي سيمونوف أن الواقعية " هي روح متفائلة تؤمن بإيجابية الإنسان وقدرته على أن يأتي بالخير وأن يضحى في سبيله بكل شيء في غير يأس ولا تشاؤم ولا مرارة مسرفة"².

¹ واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط) 1986، ص: 467.

² فاروق العمراني: تطور النظرية النقدية عند محمد منذور، الدار العربية للكتاب طرابلس - ليبيا، ط1، 1988، ص: 200.

من هنا أستنتج أن سيمونوف يرى بأن الإنسان قادر على مقاومة الشر وتحسين الأوضاع الاجتماعية والسياسية ذلك لأن الواقعية الاشتراكية لها روح التفاؤل ومناهضة للاستعمار والرأسمالية.

طالب لينين وكذلك بعض الأدباء والمفكرين أن يكون الأدب " مجسدا لهموم الطبقة العاملة أن يكون ملتزما بشكل فعلي، بقضاياها الجوهرية... رافضا وبشكل جوهري كل

التيارات الأدبية الانتهازية والفردية"¹.

ومن هنا ألاحظ أن الواقعية الاشتراكية مجسدة لهموم الطبقة الكادحة من الطبقات التي تستغلهم وتصور واقعهم المرير فهي نزعة إنسانية إشتراكية رافضة للذاتية.

وقد كتب لينين إذ يقول: " إن الأدب والفن كليهما من حق الشعب، يختصان به ... كما ينبغي أن تستسيغه الجماهير، وأن تتذوقه وترضاه، وهما - آخر الأمر - موكلان بهؤلاء الجماهير، يجمعانها على صعيد واحد من الفكر والإرادة والوجدان، وموكلان بالسمو بها واستنهاضها وتنمية غرائزها الفنية "².

كما قال في هذا الشأن " ميخائيل شولوكوف ": " إن كل واحد منا يكتب ما يمليه عليه قلبه، وقلوبنا مع حزبنا وشعبنا الذي نخدمه بفننا وأدبنا "³.

¹ واسيني الأعرج: م . ن، ص: 471.

² حلمي مرزوق: الرومانتيكية والواقعية في الأدب " الأصول الإيديولوجية " دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، (دط)، 1983 ص: 94.

³ م . ن، ص: 95.

لقد كانت محاولة مكسيم غوركي « خلال المؤتمر الأول للكتاب السوفييت سنة 1934 إذ اعتبر الواقعية الاشتراكية " إنما تؤكد الوجود الإنساني كمنشأ وإبداع وأن هدفها الأساسي يكمن في تنمية مواهب الإنسان " »¹.

فالواقعية الاشتراكية هي ثاني اتجاه جاء بعد الواقعية النقدية، وقد انتشرت في معظم بلدان العالم، وتتطلب من فهمها العميق للمجتمع من التحليل الماركسي للصراع الطبقي وكان تأثيرها على الأدب واضحاً حيث تسعى لتصوير الحياة من منظور هذا المذهب.

ج- الواقعية الطبيعية:

تواصل تطور التيار الواقعي حيث نشأت الواقعية الطبيعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولم تحدد ملامحها إلا في القرن العشرين، وهي مرتبطة بالجانب المادي والملموس متأثرة بذلك بالنظريات العلمية كما أنها دعت إلى تطبيقها في المجال الأدبي.

"يعد زولا رائد الواقعية الطبيعية في الغرب، وإليه يعود الفضل في بلورة مفهومها وحققتها من خلال كتاباته التنظيرية العديدة التي نشرها على امتداد سنوات طويلة، وقد بدأ بنشرها سنة 1866، حين كان على اتصال بالجمعية العلمية في مدينة إيكس لاشابال، وتوجت هذه الكتابات بكتابي "الحملة" و "الرواية التجريبية" الذين نشرهما زولا سنة 1988".²

"إنبهر زولا بانتصارات العقل وأمن بضرورة اعتماد المناهج العلمية الصارمة التي أعطت ثمارها في شتى مجالات المعرفة العلمية، وخاصة مناهج الملاحظة والتحليل والتجريب والتوثيق والمقارنة كما يرى أنه مدين بصفة خاصة لعلم الوراثة، وعلم الأحياء وعلم البيئة والطب التجريبي ورأى زولا * أن كتاب كلود برنار "مدخل إلى الطب التجريبي" هو

¹ واسيني الأعرج: م . س، ص: 470.

² الطيب بودربالة، السعيد جاب الله: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع ص: 8.

بمثابة إنجيل تيار الواقعية الطبيعية نظرا لما أودعه صاحبة في ثناياه من نظريات علمية ثورية " ¹، فالواقعية الطبيعية تقوم على الملاحظة والتجريب والأبحاث العضوية والفيزيولوجية للتعرف والتعمق في حقيقة الإنسان.

ويشير محمد مندور إلى الواقعية الطبيعية بأنها " تسعى إلى تصوير واقع الحياة أو طبيعة الحياة وفهمها وتفسيرها، ولكنها ترد هذه الطبيعة وهذا الواقع العميق إلى حقائق حياتنا العضوية وتأثير هذه الحقائق، بل سيطرتها على كافة مشاعرنا وأفكارنا وأخلاقنا وسلوكنا في الحياة".²

فالطبيعية تستعين بالتجارب والأبحاث العلمية المادية والحسية حيث أنها تكشف عن خبايا الحقائق الدفينة وتصورها في الأدب.

"وتظهر جهود اميل زولا في الواقعية الطبيعية إذ أنه كرس جانبا كبيرا من حياته لكتابة عدة قصص تتناول أسرة واحدة هي أسرة روجون مكار، ليؤيد بهذه السلسلة مذهب الطبيعية الذي دعا إليه، جامعا بين تأثير الحياة العضوية وبين الوراثة في تكوين الشخصية البشرية".³ من خلال هذا القول ألاحظ أن إميل زولا قد تأثر بالنزعة العلمية (علم الوراثة، علم الأحياء، علم البيئة، الطب التجريبي)، وصاغها ضمن الأدب فالواقعية الطبيعية هي بدورها تسعى إلى تصوير الحياة وواقعها وفهمها وتفسيرها ولكن من منظور حقائقها العضوية وانعكاسها على نفسية وسلوك الإنسان بوجود ترابط بين الحياة النفسية والوضعية العضوية.

¹ الطيب بودربالة، السعيد جاب الله: م . س، ص: 8.

* إميل زولا: أديب فرنسي متميز عاش أواخر القرن التاسع عشر وتمكن من ترك بصمة مميزة على الساحة الأدبية العالمية، عرف زولا كرائد للمذهب الطبيعي الأدبي في فرنسا، فقد ظهر في عصر شهد ازدهار للعلوم الطبيعية.

² محمد مندور: الأدب ومذاهبه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (دط)، (دت)، ص:

³ م . ن، ص: 107-108.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

1- واقع الرواية الجزائرية:

أ- نشأة الرواية الجزائرية:

"تأخر ظهور الرواية العربية في الجزائر عن ظهور الفنون العربية التقليدية الأخرى"¹ وهذا راجع للظروف التي لحقت بالجزائر جراء الاستعمار الغاشم مما أدى إلى تأخر الرواية في الظهور عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى كالمقالة القصص، القصة القصيرة، المسرحية.

"وظهرت الرواية كفن جديد على الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية مع الأديب أحمد رضا حوحو الذي لم تسعفه ظروفه الخاصة وطبيعة ثقافته التقليدية على تطوير هذا الفن والسير به إلى الأمام".²

عرفت عدة أعمال أدبية خلال فترة الأربعينات والخمسينات حيث ظهرت رواية غادة أم القرى لأحمد رضا حوحو سنة 1947.

بعد هذا العمل الروائي توقف الإنتاج الأدبي حتى بداية الخمسينات مع "رواية الطالب المنكوب لعبد المجيد الشافعي سنة 1951 ورواية الحريق لنور الدين بوجدره والتي طبعت في سنة 1957".³

والملاحظ على هذه الروايات أنها كانت ساذجة بسيطة من حيث موضوعاتها وطريقة طرحها وحتى في أسلوبها إلا أنها تمثل البداية الأولى لفن الرواية في الجزائر، وإن كانت تعتبر قصة مطولة بعض الشيء.

¹ محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر 1983 - ص: 7.

² واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، مرجع سابق، ص: 67.

³ م . ن، ص: 65.

وأما في الستينات فظهرت رواية صوت الغرام 1967 لمحمد منيع وبقي الفن القصصي يسير بوتيرة ثقيلة إلى أن جاء الطاهر وطار.

مع بداية السبعينات شهدت الرواية الجزائرية تغييرات كبيرة، فلقد جاءت رواية (اللاز) للطاهر وطار إنجازاً فنياً جريئاً وضخماً بكل واقعية أو موضوعية تحدث فيها عن القضية الوطنية وكذا رواية (طيور في الظهيرة) لمرزاق بقطاش، شهدت هذه الفترة تواتر في الأعمال الأدبية.

"كانت روايات (اللاز) و(الزلال) و(ريح الجنوب) و(الشمس تشرق على الجميع) و(طيور في الظهيرة) أحسن نموذج للنجاح في البناء الفني".¹

تعد رواية ريح الجنوب سنة 1970 لعبد الحميد بن هدوقة أول رواية فنية، حيث أنها اتسمت بالبعد الفني الذي يدل على نضج الرواية الجزائرية.

"ريح الجنوب تثير قضايا كثيرة تتصل بالأرض وبالمرأة، وبنضال الأفراد من أجل الحياة والمستقبل كما تعالج الدوافع الشخصية والتصرفات التي تحرك الإنسان وتقوده إلى مصيره، ثم تعرض لجانب الشر في الإنسان وصراعه الدائم ضد رواسب الماضي ومحاولته للتفوق على نفسه ولكنه يساق إلى نهاية لا يريد لها لأن الظروف أقوى منه".²

¹ محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، م . س، ص: 8.

² عبد الله الركبي: تطور النشر الجزائري الحديث (1830-1974) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص: 239.

"فالشعب الذي استطاع أن يظهر البلاد من العبودية ومن الذل ومن الاستغلال لجدير به أن يأتي بما يذهل العقول في ميادين الفكر والأدب والثقافة بمعناها الواسع، فليس ثمة قوة قادرة على صدّه عن ذلك، وكيف وهو حر طليق في بلادة وميال إلى الابتكار والإبداع".¹

لقد كانت هناك عدة عوامل كانت سببا في تأخر الرواية الجزائرية على غرار نظيرتها العربية نذكر منها:

1- عوامل سياسية:

إن الثورة المسلحة وما أنجز عنها فإنها تطلبت شحذ لجميع الطاقات البشرية والفكرية فلم يكن للأدباء الوقت لاستيعاب هذا التطور فقد انتبهوا إلى الشعر للتعبير عن أوضاعهم على خلاف الرواية التي تتطلب معاناة أعمق ونظرة أشمل.

"وهكذا استمر الأديب الجزائري يسهم في سير الثورة، ويقوم بدورة في الصراع السياسي الحضاري عن طريق الشعر. والمقالة الفكرية، والقصة القصيرة التي اتخذت في هذه الفترة بالذات طابعا رومانسيا واضحا".² الأدب هنا كان تصويرا للواقع.

كما كانت الثورات التي شهدتها الجزائر، ثورة الفلاحين 1871، وهي الثورة التي أسهمت في تصاعد النهضة الوطنية والإصلاحية، وانتفاضة 8 ماي 1945 وثورة 1 نوفمبر 1954 فكلها ساهمت في تحديد الاتجاه العام للرواية الجزائرية.

2- عوامل اجتماعية:

إن سوء الظروف الاجتماعية التي عاشها الشعب الجزائري إبان فترة التحرير وسياسة التجهيل التي فرضها الاستعمار الفرنسي خلف نسبة كبيرة من الأمية.

¹ محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري تقديم أ.د عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (دط)، 2006، ص: 525.

² محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والإلتزام، م . س، ص: 08.

« إغتراب اللغة العربية التي خضعت لنمطية تطور كان الاستعمار الفرنسي يتحكم في أنفاسها إلى حد بعيد »¹. مما أجد عدم وجود النقد والناقد الدارس وكذلك المتلقي خاصة إبان الثورة، وكذا ضعف النشر والتوزيع وأيضا عدم وجود تشجيع للأديب وفرض الرقابة على النوادي والصحف، والظروف المعيشية القاسية (فقر، بطالة، تشرد) لم تسمح بوجود فئة من الكتاب مما نتج تأخر الأدب بالجزائر كما أجد أيضا صورة المرأة في المجتمع الجزائري، إذ من الصعب عليها الاختلاط مع الرجال والمشاركة في الحياة العامة « ولهذا من الصعب أن تعالج القصة علاقة الرجل بالمرأة أو أن تتعرض لهذا النوع وما إلى ذلك »² وهذا بحكم التقاليد.

3- عوامل فنية وثقافية:

لم تكن نماذج روائية يقلدها الكتاب الجزائريين، على غرار الأعمال التي تمتاز بالبساطة والسذاجة.

" في وقت غابت فيه الرواية العربية الجزائرية عن الساحة الأدبية باستثناء محاولة محمد رضا حوحو التي توقفت عن نموها لظروف " ³.

ب- لمحة عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

إن الأدب العربي يزخر بكتاب روائيين كثرا كتبوا في الرواية بلغات مختلفة سواء الإنجليزية أو الفرنسية، حيث أن البداية الأولى للرواية في الجزائر كانت باللغة الفرنسية وهي نقطة انطلاق لهذا الفن فيها، حيث توجد مجموعة من الأدباء من بينهم مولود فرعون، كاتب ياسين وغيرهم الذين برعوا في الكتابة الروائية باللغة الفرنسية في الجزائر.

¹ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، م . س، ص: 479.

² عبد الله الركيبى: تطور النشر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983، ص: 163.

³ واسيني الأعرج: م . ن، ص: 89.

فقد كان للأوضاع الاجتماعية والسياسية التي عاشها الشعب الجزائري آنذاك أثر كبير على الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، ممثلين بذلك صوت الشعب ونقد الواقع المزري والمعاناة التي يعيشها الفرد الجزائري، فجعلت هذه الأوضاع مادة دسمة للروائيين من أجل الإبداع والتعبير عن آرائهم وقول كلمتهم.

وحسب رأي حفناوي بعلي « شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية ظاهرة ثقافية ولغوية متميزة وأثارت بذلك حولها جدلا كبيرا بين النقاد والدارسين منهم من عدها رواية عربية باعتبار مضامينها الفكرية والاجتماعية والفكرية والاجتماعية والكثرة عدوها رواية جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية ».¹

« وقد كتب كاتب ياسين أكثر من مرة أن موقف الكاتب الجزائري الذي يعبر بالفرنسية هو أنه بين خطين من النيران يجبرانه أن يبدع وأن يرتجل ».²

ومن هنا يتضح أن الكاتب الجزائري الذي يكتب باللغة الفرنسية آنذاك لم يكن له خيار غير ذلك لاتخاذ اللغة الفرنسية كوسيلة للتعبير عن أوضاع المجتمع الجزائري ونقل الحقائق لأنهم لا يجيدون إلا اللغة الفرنسية.

"يؤرخ المؤرخ والباحث " جان ديجو " Jean Déjeux " أول نص أدبي كتبه جزائري باللغة الفرنسية إلى سنة 1880، وهو عبارة عن قصة بعنوان " إنتقام الشيخ " مستقاة من التقاليد الاجتماعية الجزائرية، كتبها " محمد بن رجال " إلا أن الباحث بعدها يذكر أن عملية المسح الشامل التي قام بها للجرائد والمجلات التي كان يصدرها الفرنسيون في الجزائر في

¹ حفناوي بعلي: الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية الذات المعروفة وأسئلة الحداثة جامعة عنابة - الجزائر، مقارنة في خصوصية الأدب العربي الحديث، www.scribd.com .

² محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب الألف كتاب الثاني سنة 1996 ص: 105.

الفترة ما بين 1830م و1920م، بحثا عن نصوص أخرى لجزائريين آخرين لم تسفر إلا على نتائج هزيلة".¹

"ونظرا للفراغ المسجل بين سنة 1891 وسنوات العشرينات من القرن العشرين فإن "جان ديغو" يتخذ سنة 1920 م كانطلاقة حقيقية في هذا الأدب الناشئ...".²

"حيث أجد أن النقص في الإنتاج الأدبي خلال هذه الفترة راجع لسياسة العدوان التي مارسها الاستعمار على الشعب الجزائري، ومحاولة سلبه حريته وكرامته والقضاء على مقوماته وهويته، مما أدى إلى تعمق الهوة والتنافر بين الطرفين وبالتالي لم يتم التلاقح الفكري وهذا راجع لعدم الإنفتاح على الآخر سواء سياسيا أو فكريا أو حضاريا. ومن جانب آخر سياسة التجهيل التي طبقتها فرنسا إزاء الشعب الجزائري وإبقائه بعيدا عن الأفكار التحررية والوعي القومي والوطني".³

والملاحظ أن النقص في الإنتاج الأدبي خلال هذه الفترة راجع لقساوة الأوضاع والتباعد الفكري مع الآخر ومحاولة الاستعمار القضاء على اللغة والفكر وعدم تطلعهم على الثقافات الأخرى وعلى الأفكار التحررية التي توعيتهم أكثر لقضية وطنهم.

"ويذكر جان ديغو أنه يمكننا فيما بين سنة 1920 وسنة 1945 أن نعثر على محاولات قليلة في الكتابة الروائية، فقد ظهرت سنة 1925 أول محادثة لعبد القادر حاج

¹ غنية كبير: النقد الأكاديمي الغربي وتلقيه للرواية الجزائرية التأسيسية والتأصيلية اليوم الدراسي الوطني الثالث حول السرد " فلسفة السرد " نظمه قسم الأدب العربي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعرييج يوم 2016/04/10، ص: 04.

² م . س، ص: 05.

³ أحمد منور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياها ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2017-4، ص: 90.

حمو بعنوان " زهرة امرأة عامل الناجم " وفي هذه الرواية يقلد الكاتب تكتيك الرواية الطبيعية عند اميل زولا".¹

"وقد كان الجيل الذي ظهر في عام 1952 أكثر شهرة في البلاد العربية، حيث أن أغلب أعماله قد ترجم إلى اللغة العربية وخاصة في مصر".²

"وأدب « ديب » و « معمري » و « فرعون » و « ياسين » لما قبل وما بعد الحرب أدب تستخدمه هذه الأمة نفسها سلاحا لتحطيم قيود الإستغلال والإقطاع، سلاحا في معركتها المظفرة ضد العدو المستغل".³

ويعتبر هذا الأدب ردا قويا على محاولات الاستعماريين في القضاء على كيان وقيم ذلك الشعب الثوري، ولم يكتب أولئك الكتاب الجزائريون ذلك الأدب باللغة الفرنسية لأنهم فقط قد تعلموا بالمدرسة الفرنسية بل لأنهم عاشوا واقع وحقيقة معاناة الشعب الجزائري وأرادوا التعبير عن ذلك الواقع.

فقال محمد ديب: « ولأسباب عديدة فقد كان همي ككاتب ومنذ أول قصصي أن أضرم صوتي إلى صوت الجموع ... ويوضع جميع قوى الخلق والإبداع لدى كتابنا لخدمة إخواننا المظلومين فإن ذلك يجعل من نتاج أولئك الكتاب سلاحا من أسلحة المعركة ... »⁴.

أستنتج من هذا القول أن الكتاب آنذاك كانت أعمالهم مساندة للشعب وبمثابة سلاح من أسلحة الثورة وفضح المستعمر ونقل مأساة الشعب والحياة المزرية التي يعيشها وكذا التحدث عن النضال السياسي وخير مثال على ذلك رواية الدار الكبيرة لمحمد ديب.

¹ حفناوي بعلي: الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، م . س، www.scribd.com.

² محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، م . س، ص: 105.

³ سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دط) (دت)، ص: 127.

⁴ م . ن، ص: 129.

وقد شكل ظهور رواية " الدار الكبيرة " لمحمد ديب 1952 م، منعطفا حاسما في تطور الأدب الروائي المكتوب بالفرنسية على مستوى المضمون، فلأول مرة تتجاوز فيه هذه الرواية "صالونات المثقفين ومناقشاتهم القومية عن العدالة والمساواة في ظل الحكم الاستعماري، ووهم التعايش السلمي بين الأهالي والمعمرين، عن طريق الدعوة إلى الإدماج، لتتنزل إلى الطبقات الدنيا وتتحدث عن هموم الناس البسطاء من عامة الشعب، وتصف أحوالهم المعيشية القاسية ومعاناتهم من الجوع والفقر والقهر ... " ¹

والملاحظ على الروايات التي ظهرت بعد سقوط نظام الرئيس بن بلة وقيام نظام بومدين أنها كانت تغلب عليها النزعة السياسية الإنتقادية. وذلك نتيجة للأوضاع السياسية والاجتماعية للجزائر بعد الإستقلال وظهور البيروقراطية، وظهور الطبقة في المجتمع.

"وفي مطلع التسعينات، ومع صعود المد الإسلامي في هذه الفترة ودخوله بقوة معترك السياسة، أخذت تظهر أعمال روائية في هذا الأدب تنتقد هذا المد نقدا لاذعا، وتصوره في شكل خطير سياسي واجتماعي داهم، يهدد الديمقراطية والحريات العامة ومن ثمة تدعو بشكل صريح ومباشر إلى التصدي لها ومحاربتها بكل الوسائل...." ²

عاشت الجزائر خلال فترة التسعينات أو ما تعرف بال عشرية السوداء سنوات من الرعب والخوف، حيث اضطربت الأوضاع السياسية والاجتماعية فأخذت تظهر أعمال أدبية روائية ناقدة لهذا المد ومصورة لأوضاع تلك الفترة ومن أبرز روائيين تلك الفترة " ياسمينه خضرة " .

2- أهم رواد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية:

يوجد الكثير من الكتاب والرواد الجزائريين الذين قدموا إنتاجا فنيا رائعا، حيث كتبوا عن الثورة الجزائرية وعن الفترة التي سبقتها وخلال اندلاعها، كانت كتاباتهم سلاح في حد ذاته

¹ غنية كبير: النقد الأكاديمي الغربي وتلقيه للرواية الجزائرية، م . س، ص: 06.

² أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، م . س، ص: 124.

ضد المستعمر، وتصنف جميع رواياتهم ضمن أدب المقاومة أو أدب الثورة الجزائرية ومن أبرز الروائيين الجزائريين.

أ- محمد ديب:

"ولد بتلمسان في 21 جويلية 1920 وسط عائلة متواضعة، درس بتلمسان ثم تواصل بوجدة بالمغرب اشتغل معلما قبل الحرب العالمية الثانية بين 1938 و1940، قرب الحدود المغربية (زوج بغال) ثم محاسبا بوجدة، وفي سنة 1959 نفي من الجزائر بسبب نشاطه السياسي تجول بعدة دول شرقية وبالمغرب 1964 وتوفي سنة 2003"¹.

ويعد محمد ديب أحد أبرز الروائيين والشعراء الجزائريين وكذلك أحد مؤسسي الحركة الأدبية الفرنكوفونية في الجزائر.

"وله مؤثرات ثقافية نهاية الحرب العالمية الأولى ففي سنة 1934 بدأ ينظم القصائد ويرسم اللوحات وتحصل على جائزة جمعية الكتاب باللغة الفرنسية سنة 1978، كما نشر أول قصائده في مجلة الأدب Les lettres التي تصدر بجينيف تحت اسم مستعار (ديابي Diabi)".²

"وفي عام 1948 زار محمد ديب فرنسا لأول مرة من خلال وفد أدباء جزائريين وبعد ثلاث سنوات تزوج من زوجته الفرنسية وسافر إلى فرنسا عام 1952 كي يحضر صدور روايته الأولى "المنزل الكبير" وأقام هناك حتى عام 1954 نشر مجموعته القصصية "في المقهى" ثم نشر الجزء الثالث والأخير من الثلاثية عام 1957 تحت عنوان النول"³.

¹ جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية المشرق، عز الدين المخزومين أطروحة لنيل الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011 ص: 430-431.

² م . ن، ص: 430.

³ محمود القاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، ص: 119.

"وما ميزه عدم انقطاعه عن الكتابة كما حدث مع غيره من الكتاب رغبة منه في تقديم يد العون لشعبة بالكلمة، ومعالجة الحالات الإنسانية التي فقدت الأمل في العيش الكريم وبلغ منها اليأس مبلغا عظيما"¹.

ب- مالك حداد:

مالك حداد من مواليد 1927.07.05 م بقسنطينة، عمل معلما لفترة قصيرة تنقل عبر مدن وبلدان عدة منها: باريس، القاهرة، لوزان، تونس ... إلخ، عاد بعد الإستقلال إلى أرض الوطن وأشرف في قسنطينة على الصفحة الثقافية بجريدة النصر ثم انتقل إلى العاصمة ليشغل منصب مستشار ثم مدير للآداب والفنون بوزارة الإعلام والثقافة.

"أسس سنة 1969 مجلة آمال، أول أمين عام لاتحاد الكتاب الجزائريين في الفترة ما بين 1974 و 1978 م، توفي في 1978.06.02 م"².

"كما أصدر عدة مجموعات شعرية منها مجموعة "المأساة في خطر" 1956، أما منذ أعوام 1958 وحتى 1961 فقد كان يكتب بمعدل قصة كل عام "الإحساس الأخير 1958" "أقدم لك غزالا" 1959، "والطالب والدرس" 1960، ثم "رصيف الأزهار لا يجيب" 1961 كما أصدر في نفس تلك السنة مجموعة شعرية بعنوان "إستمع إلى ندائي" 1961"³.

¹ حبيب فاطمة الزهراء: ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية بما تحلم الذئاب لياسمينه خضرة، دراسة تطبيقية إشراف د بلقاسمي حفيظة مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة وهران 1 أحمد بن بلة سنة 2015-2016 ص: 51-52.

² <https://9alam.com> بتاريخ 15-03-2018 على الساعة 40: 17 .

³ سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص: 202.

أصدر كل أعماله الروائية بعد اندلاع حرب التحرير حيث أنه شارك في حرب التحرير وكان يعتبر اللغة الفرنسية منفي أبدي ومأساة وتيقنه بعد تحقيق النصر بأن المستقبل سيكون للغة العربية.

"يمثل التشكيل الروائي عند مالك حداد عالما آخر بما يكتنفه من تلميح، وإيحاء، وشعرية مطبوعة بطابع الإلتزام...."¹

"كتب مالك حداد مجموعة من السيناريوهات للتلفزيون الجزائري، قام بتنفيذها كبار المبدعين في مجال المسرح والسينما".²

ج - كاتب ياسين:

"أما كاتب ياسين فقد ولد في السمندو، قرب قسنطينة عام 1929، وهو مؤلف رواية "نجمة" التي نشرت سنة 1956 والتي تعتبر أحسن شاهد على ميلاد الجزائر الجديدة، وقد استقبل النقاد والمفكرون الفرنسيون هذه الرواية بحفاوة بالغة، كما اعتبروا مؤلفها أحسن من يمثل مدرسة إفريقيا الشمالية الأدبية من غير الأوروبيين"³.

نجمة ترمز إلى الجزائر الجميلة التي مزقتها مآسي وقسوة حرب التحرير، هذه الرواية ترتبط بسيرة حياة كاتب ياسين والتي جعلت اسمه يلمع في عالم الأدب، اعتبرها النقاد من أجمل النصوص التي كتبت في الأدب الفرنسي.

¹ صليحة بردي: التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد، إشراف عبد القادر توزان مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، تخصص: الدراسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف سنة 2011-2012 ص: 157.

² الطيب ولد العروس: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، 91 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة 1600، ص: 139.

³ أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الطبعة الخامسة، دار الرائد للكتاب الجزائر سنة 2007، ص: 102.

"ويعتبر عام 1945 نقطة تحول ملحوظة في حياة " كاتب " ففي الثامن من مايو قامت المظاهرات الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي وتم القبض على كاتب ياسين وطلبوا منه أن يخون وطنه إلا أنه رفض فبقي في السجن فترة من الوقت وراح يمارس الكتابة والإبداع"¹.

"توفي كاتب ياسين في 28 أكتوبر 1989 بمدينة غرونوبل الفرنسية عن عمر يناهز 60 سنة بسرطان الدم نقل جثمانه ودفن في الجزائر يوم أول نوفمبر 1989"².

"لقد وضع كاتب ياسين فنه وكرس هذه الثروة الرائعة التي يزخر بها قلمه في خدمة القضية التي مازال يؤمن بها: الجزائر الحرة، والثورة الدائمة والحياة الجديدة"³.

د - مولود معمري:

"ولد معمري في الثامن والعشرين من ديسمبر عام 1917 في تاوريرت ميمون "Taourirt Mimoun" في بلاد القبائل، وأتم معمري دراسته الثانوية في مدينة الرباط بالمغرب ثم عاد وأكمل تعليمه العالي في الجزائر ثم في باريس حيث حاز على ليسانس في الآداب ... وفي أواخر 1962 عاد إلى الجزائر حيث احتل كرسي الإجتماع في جامعة الجزائر"⁴.

"وفي سنة 1988 نال درجة الدكتوراه الشرفية من جامعة السوربون، وفي 26 فيفري 1989 توفي بعد حادث سير بعين الدفلى، ومن مؤلفاته الروائية سنة 1952 نشر روايته

¹ محمود القاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، م . س، ص: 107.

² <http://ar.m.wikipedia.org> بتاريخ 15-03-2018 على الساعة 18:01 .

³ سعاد محمد خضر: دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، م . س، ص: 200.

⁴ م . ن، ص: 171.

الأولى الهضبة المنسية، وفي سنة 1955 سباب العادل، و1965 الأفيون والعصا، وفي 1982 الجولة"¹.

فقد اشتهرت مؤلفات مولود معمري المكتوبة باللغة الفرنسية، حيث ترجمة أعماله للغات عدة، كان كاتباً فذاً ينبذ الاستعمار ويتغنى بالسلم والحرية.

هـ - آسيا جبار:

"ولدت آسيا جبار في الرابع من أغسطس عام 1936 في مدينة " شرشال " Cherchell وأتمت دراستها الثانوية في مدينة " بليدة " Blida وواصلت بعد ذلك دراساتها العليا وتخصصت في التاريخ والجغرافيا من ثم اشتغلت بالتدريس في مدينة الجزائر وكانت بداية حياتها الأدبية قد تميزت بنشرها بعض المقالات والقصص القصيرة والمقابلات الصحفية في بعض المجلات الدورية... "²

تعتبر فاطمة الزهراء إمليان المشهورة باسم آسيا جبار والمرشحة للفوز بجائزة نوبل للأدب من أهم الروائيات في الجزائر وفي شمال إفريقيا إبداعاً، حيث عرفت بمساندتها ودفاعها عن قضايا المرأة، كما كانت روايتها تجسد الموقف المناهض للاستعمار والمناهض للسلطة الأبوية.

"قامت بإخراج عدد من الأفلام التسجيلية في فترة السبعينات منها (الزردة وأغاني النسيان) عام 1978، وفيلم روائي طويل للتلفزيون الجزائري بعنوان (نوبة نساء جبل شنوة) عام 1977، ومن أعمالها الروائية (ظل السلطانة، لا مكان في بيت أبي، نساء الجزائر، ليالي ستراسبورغ، الجزائر البيضاء) أقامت في فرنسا حتى وفاتها في فبراير عام 2015 عن عمر يناهز 79 عاماً"³.

¹ جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، م . س، ص: 428.

² سعاد محمد خضر: دراسات في الأدب الجزائري المعاصر، م . س، ص: 212.

³ <https://ar.m.wikipedia.org> بتاريخ 15-03-2018 على الساعة 17:57.

الفصل الثاني

- البناء الفني للرواية:

1- العنوان:

"العنوان هو الإعلان عن طبيعة النص، فهو إعلان أيضا عن القصد الذي انبنى عليه إما واصفا بشكل محايد أو كاشفا غير آبه بما سيأتي لأن العنوان يظهر معنى النص والأشياء المحيطة به، فهو من جهة يلخص المكتوب بين دفتين ومن جهة ثانية يكون بارقة تحيل إلى خارج النص"¹.

"قوة العنوان طاقة مساعدة للقارئ من اقتحام عالم الكتاب والولوج إلى خلفياته وسراديبه، فالدخول إلى رحابة وفي مجال الفعل القرائي يصبح العنوان قوة تشد القارئ إلى موضوع الكتاب بما تحمله من إحياءات وجاذبيات وإغراءات"².

فالعنوان هو الواجهة الأولى التي تصادف المتلقي وأول ما يلفت انتباهه، فهو كعلامة قبل التوغل في النص، إنه هوية النص واسمه الذي يميزه عن النصوص الأخرى وهو يسهم في استقراء مضامين النص، فسر النص يكون مرتبط بالعنوان.

إن رواية مولود فرعون "الأرض والدم" هي رواية واقعية بالدرجة الأولى وكذلك عنوانها يوحي على واقعيته، فأحداثها وقعت فعلا في قرية إغيل نزمان الموجودة في بلاد القبائل، فالعنوان "الأرض والدم" له دلالة مكانية وهي الأرض، فهي جزء من هوية السكان الأصليين، كما أن الدم هو ثورة عرقية في حد ذاتها يمثل الدم صلة القرابة، وكان للعرقية دور في سير الأحداث وإبراز أبطال الرواية، فالعنوان فيه نوع من القوة والعنف من جهة والتمسك والغيرة من جهة أخرى فكلمة الدم توحى على واقع مرير على الألم ووجود العنف

¹ جاسم محمد جاسم: جماليات العنوان مقارنة في خطاب محمود درويش الشعري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - عمان - الأردن ط1، 2013-2014 م ص: 101.

² عباس أحمد أرحيله: العنوان حقيقته وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط1، 2015-1436 هـ، ص: 47-48.

وكلمة الأرض تعني الوطن (قرية إغيل نزمان)، عنوان الرواية يضع أحداثها في إطار محلي واقعي أي حياة المجتمع القبائلي في قرية إغيل نزمان والتي تقع في أعالي جبال جرجرة، وبها سكان جزائريون أصليون والعنوان كذلك يدل على الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والمتمثل في مقاومة الأنا (الجزائر) في مواجهة الآخر (فرنسا)، إن أهل القرية متمسكين بقوة بأرضهم الجزائر ورفضهم لأي جيل أجنبي فالشعب معتز بهويته وأرضه وانتماءاته ولا يقبل أي جيل أجنبي حيث أشار الكاتب في روايته بأن عامر ابن جزائري وماري زوجة فرنسية، فكان موقف كمومة غير راضية بزواجه بالباريسية (الفرنسية) بحيث ترى أن الزوجة المناسبة له هي إحدى فتيات قرية إغيل نزمان.

"أما قضية زوجته الفرنسية فذلك شأنه وحده فبالنسبة لكثير من الناس فإن وضعية كهذه تعد فضيحة بطبيعة الحال هذا ما يقول الشيوخ فيما بينهم".¹

كما أن العنوان يشير إلى تمسك الطبقة الفقيرة في الجبال تمسكا قويا بحرمة أراضي الأجداد فقد كانت مصدر لعيش السكان وتأمين لهم لقمة عيشهم .

فالأرض كنز ثمين بالنسبة لهم، فهي تتوارث من الأجداد إلى الأحفاد، فعامر عند عودته عمل على استرجاع الأرض، فاسترجع قطعة تيغزران من قريبه حسين بعد أن اشتراها سابقا عن أبيه، واهتم عامر بالأرض وأعاد لها الحياة من جديد " أدرك عامر بقلب معتصر أنه يحب تيغزران حبا شديدا ولكن كل شيء قد انتهى بينهما كلاهما صار غريبا عن الآخر، لم تعد تغزران تريده إن الذي يليق بها هو سليمان وهو الذي يستطيع أن يخدمها ويصونها كعاشق ويجمع غلالها كبخيل وذلك لأن أراضيها تحب الفلاحين القساة البخلاء".²

¹ مولود فرعون: الأرض والدم، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلاتنيقيت - بجاية - 2015 ص: 45.

² الرواية، ص: 209.

إن الهجرة هي قطيعة أي قطع الصلة بالأرض والدم " إن أرضنا متواضعة تحب بسرية وتعطي بسرية وتعرف أصحابها بسرعة أولئك الذين خلقوا لها وخلقت لهم، إنها لا تستكف من الأيدي الناعمة الكسولة والهزيلة".¹

إن عودة عامر من بلاد المهجر فرنسا ما هو إلا استجابة للحنين المبهم الذي إصابة لنداء الوطن " آه يا عامر إن أرضنا ليست قبيحة نخرج منها، ونعود إليها المسالة بسيطة إنها تحب أبناءها وعندما ينسونها طويلا تتأديهم".²

لذلك فإن المغتربين الذين يموتون بغير أراضيهم لا يجدون حتى من يزورهم من أقاربهم (دمهم) وتعتبر نهاية محزنة لهم، كما صار لرابع "إن الله كتب بأن يكون قبر رابع في فرنسا وليس هنا إن نداء الأرض لم يكن قويا".

من جهة أخرى فكلمة الدم أجدها في الرواية مرتبطة بالشرف فعند الموت المفاجئ لرابع عم عامر والذي كان حادث في منجم الفحم، لم يستطع عامر الدفاع عن عمه الذي يحمل نفس دمه، إذ وجد أن عائلة آيت حموش لما سمعوا بموت رابع قد قرروا أن ينتقموا و ينقذوا شرف العائلة " الدم ! الدم قد سال ! والدين موجود بينكم ضحية ولذلك أهملوا كمومة"³. ولكن عندما التقى سليمان آيت حموش بعامر أحس بشعور غريب كأنه سر بلقائه، إنه الرابط الدموي بينهما " لقد نطق الدم لم تستطع أن تمنع أي شيء"⁴. ولما علم سليمان بأن ماريا هي ابنة أخيه رابع غفر لعامر في قرارة نفسه لأنه اهتم بهذا الإرث الدموي " إن دم رابع يعود إلى دم ابنته نعم، إنه يعود إلى أرضنا، الأرض والدم، عنصران أساسيان في

¹ الرواية: ص: 209.

² الرواية: ص: 146.

³ الرواية: ص: 147.

⁴ الرواية، ص: 140.

مصير كل فرد و نحن لسنا سوى لعبة بين يدي القدير " ¹. لكن سليمان استحسن أن تبقى هذه الرابطة الدموية سرية أولاً من خجلة بها وثانياً من اجل الإرث كي لا تورثه، ففي الرواية أجد قضية الإرث فيها حسابات كبيرة ويظهر هذا من خلال قول سليمان "فإذا عرفت بهذا حماتي وزوجتي فإن السر سيضيع وفي هذه الحالة سوف أترف علانية، وأعطي إلى مادام كل ما يمكنني الكانون من إعطائه وسيكون ذلك اختزالاً من حصة ابنتك " ². أي زوجته شابحة.

أبقى كذلك في قضية الأرض والدم والشرف، أجد تسعديت زوجة حميد، والذي كان أبناء أعمامه يطمعون في أملاكه ويريدون تجريده منها، فإذا بزوجه أنجبت أربع أولاد من الفلاح الذي يعمل عندهم من أجل تكوين عائلة وتنقذ الأرض.

كما أن موت عامر لا يخلو من رمز الأرض، فقد مات في المحجر وكان سليمان هو قاتله بسبب انتهاكه لشرفه وعرضه بخيانتة له مع زوجته شابحة فمات تحت وقع الصخور والتراب عليه " كان وجه عامر ملوثاً بالتراب وعلى صدغه جلطة كبيرة، فقد أقام لفترة تحت ثقل حجر ضخمة ... فقد تلقى صخرة ضخمة أسقطته أرضاً على ظهره ثم غمره سيل كامل من الركام الترابي والحجارة " ³.

إن الأرض والدم تبرز علاقة جدلية بين الأرض والإنسان فالكاتب يوحى لنا أو من خلال الأحداث أجد أن من يخالف قانون الجماعة مصيره سيكون لا يحمدهم عقابه.

¹ الرواية، ص: 158.

² الرواية: ص: 159.

³ الرواية، ص: 317.

2- الشخصيات:

"تعد الشخصية عصب الحياة في النصوص السردية جميعا كالرواية والقصة وغيرها من السرود الأخرى، ومحور الحركة فيها، وهي التي تقول وتفعل وتفكر، وتقود الرواية خاصة من بدايتها إلى نهايتها".¹

"فالشخصية المحور الذي تدور حوله الرواية كلها ويكشف الحدث عن نوازعها وتوجهاتها، فهي بذلك الفاعل الأساسي في جوهر العمل السردية ويكون الحدث فعلها ومركز عملها، وتتحرك عبر الفضاء السردية الروائي والقصصي بما فيه من الزمان والمكان لتعبر عن الرؤية السردية للروائي والقاص".²

فالشخصية انطلاقاً من كونها جزءاً لا يتجزأ من أي عمل أدبي لا يمكن الإستغناء عنها، فالأحداث تنتسب إلى الأشخاص سواء كانوا من العالم الواقع أو الخيال، ولهذا يمكن أن تتفاوت درجة التفاعل بين الأحداث والشخصيات من رواية إلى أخرى، فأجد بذلك نوعين من الشخصيات البطلية والثانوية.

- شخصية البطل: " عامر "

" شخصية محورية تحظى بالاهتمام من بداية الرواية وحتى نهايتها وتبدو هذه الشخصية في الأغلب وسيلة رئيسة لتجسيد رؤية الرواية"³ وبالتالي لها حرية تحريك الأحداث في الرواية كونها شخصية محورية فإنها تشد باقي الشخصيات الأخرى إليها ومن هنا أستطيع القول أن للشخصية تأثير عميق في مجرى الأحداث وباقي الشخصيات الأخرى.

¹ سناء سلمان العبيدي: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، الكتبة الوطنية دار غيداء للنشر والتوزيع 2015، ط1، 2016م-1437 هـ، ص18.

² م . ن، ص: 19.

³ فريال كامل سماحة: رسم الشخصية في روايات حنامينة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع عمان - الأردن - ط1، 1999 ص: 29.

من خلال توجيه الراوي لمسار الشخصيات والأحداث في رواية "الأرض والدم" أجد أن المؤلف قد اهتم بالشخصية الرئيسة "عامر" وأسند إليها وظائف بلورت النظر بشكل محوري، فهي شخصية نموذجية للشباب الجزائري إبان الاستعمار الذي كان عليه أن يهاجر إلى فرنسا لكسب قوته وتحسين أوضاعه، في ظل أوضاع مزرية كان يعيشها الأهالي في قراهم المنعزلة، وفي الوقت ذاته فإن تجربة الغربة التي تجسدها هذه الشخصية هي الأخرى نموذجية حيث يشترك هؤلاء الشباب البائسين في المصير نفسه وهو العودة وأكد هذا مولود فرعون عند قوله "وعاد كثير من مواطنية السجناء مثلة إلى بلدهم، وانغمسوا في وسطهم وبيئتهم وعاشوا عيشة أهاليهم، مكتشفين معنى جديدا لوجودهم التعميس، ولهجرتهم المؤقتة"¹.

فاعمر هو نموذج لأحد أبناء الشعب الجزائري عاش وترعرع في منطقة القبائل منذ طفولته وهو يعلم للوصول للنجاح متمردا ورافضا حياة الفقر والجهل التي يعانيتها المجتمع الجزائري، كما أنه بالنسبة لوالدية الأمل الوحيد في قضاء شيخوخة سعيدة. لكنه خيب ضنهما فيه، كان عامر رمزا للجمال وتجلي ذلك في قول الراوي: "إنه وسيم ... لكن سحنته أقل بياضا منها شاب حاسر الرأس، بدون شوارب"².

إن هذه الشخصية البطلة تلعب دورا كبيرا في هذه الرواية، ومن قرية إغيل نزمان تبدأ مغامرة عامر " في صبيحة يوم من نهاية شتاء عام 1910، وجد عامر نفسه رفقة ثلاثة من مواطنية ... يرافقهم ذوهم إلى ذلك المكان بعيون دامعة وكان عامر يصوب نظراته نحو أمه نظرات بائسة"³، حينها كان عامر صغيرا على فهم الفراغ الكبير الذي تركه في نفس أمه وأبيه، فكان همه الوحيد التفكير في المجهول وما سيواجهه والبحر الذي سيعبره و المجتمع

¹ الرواية، ص: 85.

² الرواية، ص: 06.

³ الرواية، ص: 59.

الذي سيعيش فيه ويكون ثروة " وفكر أنه في القريب العاجل سوف يتغير معنى وجوده وتخيّل نفسه في المستقبل رئيس عمل والمسؤول الذي يجب طاعته".¹

عند وصوله وجد مرافقيه لم يتخلوا عنه وذلك ما كان يتهيأ له من خلال العصبية النفسية نزل بفندق، حيث وجد هناك أفراداً من إغيل نزمان ولحسن حظه وجد ابن عم أمه رابح وهناك تكفل به، ذهب مع زملائه إلى مناجم الشمال لم يستطع عامر في عامه الأول أن يعمل في المنجم وذلك لصغر سنه، حيث عمل طبّاخ الجماعة و كان يخشى أن يعلم قاسي بهذا، ولكن في السنة الموالية استطاع أن يباشر العمل في المنجم وذلك بفضل عمّة رابح "ومع ذلك فإنّ الفضل يعود إلى عمّة في عدم ممارسته للأعمال المرهقة أول أمره، فقد كلفوه في البداية بفرز الفحم الحجري وتفريغه في العربات".²

"ورابح هو أول من مرّن عامراً على "العلاقات الجنسية"، في حين دربه البولندي على استهلاك الخمر لتجمل الحياة في عينية وينسى قاسي وكمومة".³

كان عامر وكل أفراد إغيل نزمان يقطنون جميعاً بفندق اندري، كان عامر دائماً يتطلع إلى أن ينضم إلى فريق رابح واندري في المنجم، وبالفعل فقد لاحظ ذلك اندري واهتم به وألحقه بهم، وقد لاحظ عامر اهتمامه هذا الذي لم يحبّه كان عامر يريد أن يبرز ذاته و قدرته وبأنه أصبح قويا، وكان ذلك بعد سنتين من تواجده هناك، والشيء المخبئ هو أن الرجل البولندي كان في نفسه يعدّ لجريمة حيث ورط عامر في جريمة قتل عمه رابح، واتهمه بذلك وأدلى بشهادته تحت وقع تهديد البولندي له " إن شهادتك سوف تنقذنا والا فإنني

¹ الرواية، ص: 60.

² الرواية، ص: 69.

³ الرواية، ص: 71.

سأصرح بأنني لم ألمس شيئاً إخترا...¹ ضاع عامر كلياً بعد تلك الحادثة، وهو يعلم أن أندري هو الفاعل، قتلة دفاعا عن شرفه لإقامة رابح علاقة سرية مع زوجته.

"نعم لقد سمع الجرس، فأطلق أندري العربية، كان القبائل مذهولين كان زمن القيلولة ولم يدق أحد الجرس... أيترك الدم القبائلي يسكب بجنب؟ أو بالأحرى دمه نفسه".²

لم يستطيع عامر أن يغير شهادته لأنهم لن يصدقوه بل يأخذون شهادة اندري بعين الاعتبار، فأهل قريته يعون ذلك جيداً حين تتعلق المسألة بالعرب، فنصحوه بعدم تغيير شهادته فهم جهال وفقراء ولا قوة لهم بين متعلمين أقوياء واعتبروها قضية قدر ومكتوب حيث وجد عامر الراحة لتواجهه مع نوبه، ولكن بعد أن أعلنت الجرائد عن غزو بلجيكا، مر عامر بأوقات مريرة وصعبة فقد فر جل مواطنيه ولم يهتم لأمره أي فرد من قريته، لقد تعرض للموت عدة مرات " ألقى القبض عليه مثله مثل كثير من مواطنيه، وسجن بألمانيا بصفة سجين حرب، وعرف هناك العديد من المحتشدات و الأعمال الشاقة والضربات الموجعة وقضى خمس سنوات في بلد لعين"³ ثم تحررت فرنسا فعاد إلى باريس، وكان في سعادة لبقائه حياً، فقد كانت تلك السنوات جيدة بالنسبة للقبائل، فأجورهم تضاعفت، عامر لم يفكر في العودة بالرغم أن هناك من عادوا بعد جمعهم ثروة ليصرفوها على عائلاتهم ثم يرجعوا مجدداً " أما عامر فلم يفعل شيئاً ولم يكن هناك ما يدعو للسرعة، ولا للعودة إلى إيغيل نزمان ورغم هذا، فإنه عندما يفكر في ماضيه، تبدو له تلك الفترة أقل مرارة"⁴.

إن عامر في كل مرة يتذكر فيها والديه وتفريطه فيهما وبأنهما غير راضيان عليه يؤنبه ضميره حيالهم ويشعر بالحزن، ولكنه سرعان ما يتخلص من هذا الشعور.

¹ الرواية، ص: 77.

² الرواية، ص: 77.

³ الرواية، ص: 84.

⁴ الرواية: ص: 85.

أقام عامر في فندق السيدة غاريت وهي من المعارف القديمة للسيدة إيفون، وهي من أعلمته على مكان تواجد ماريا "منذ وفاة رابح وعامر ينتظر معجزة أو حالة خارقة للعادة، تجعله يكفر عن ذنبه ويصلح ما أفسدت يده ففي ذهنه أن الصغيرة ماري ليست سوى ابنة ضحيته، قبائلية، ابنة عمه"¹.

فقد وجدها بعد أن مضت ستة سنوات من الحادث، وأقاما لمدة ثلاثة سنوات في الفندق عند غاريت، وبعدها قرر عامل العودة إلى أرضه وأهله.

ومما سبق يمكن أن أقول إن عودة عامر إلى إغيل نزمان بعد سنوات من الضياع والغربة ما هو إلا رجوعه في الأخير إلى الأصل الذي يناديه، وأن يندمج مع واقعه وبيئته القبائلية الأصيلة.

لكن عودته كانت صعبة عليه في وقع نفسه، سواء كان ذلك أمام زوجته التي كان يخجل منها بسبب إنتمائه إلى قرية "إغيل نزمان": "المزبلة العمومية الممتلئة بالأوساخ، والتي تشكل تلا ضخما أمامها ولا هذه الطريق التي لا شكل لها، طريق ضيقة، محفرة، موحلة..."² أما أمام أهل قريته حيث كان يخجل بزوجه التي كانت بمثابة رمز للثقافة الغربية بما تحمله من معنى (لباس، لغة، سلوكات...) يظهر ذلك في قولة: "لم يكلف الرجل المُسَلَّم نفسه إلقاء نظرة ولو خفيفة على السيدة التي لم تكف عن الابتسام، الظاهر أنها لا تفهم القبائلية"³.

¹ الرواية: ص: 91.

² الرواية: ص: 07.

³ الرواية: ص: 08.

إن عامر وجد نفسه مرتاحاً في قريته، فهم استقبلوه وشعر بالاندماج وأصبح يجدد العلاقات، وعمل على استرجاع مكانته المشرفة بينهم، وبأن يكون ابن البلد من الآن فصاعداً، ووجد بأن هذه القرية على استعداد لضم واستقبال أبنائها.

ورغم أنه يتأسف للخداع والنفاق والأذى في مجتمعة، إلا أنه سيتأقلم مع هذا الوضع من جديد، والشيء الذي أحزن عامر عند رجوعه أنه وجد والده قاسي قد توفي، فبعدما استرجع ثقته بنفسه، وبطلت مخاوفه من أن يجفوه ذويه، وفهم بأن المسألة متعلقة من أنه رجع بثروة أم لا " الفقراء يمجدونهم ويحاولون إثارة شفقتهم ... أو سرقتهم " ¹ فاستغل الفرصة واسترد الحقل الذي باعه والده وهو تيغزران من عند ابن عمه حسين. .

التقى عامر وسليمان، وكان نداء القلب والرابطة الدموية أقوى من رابطة العداوة، ويظهر هذا من خلال قول الراوي " إن سليمان وشابحة هما اللذان يفلحان تيغزران ويجمعان التين ... وذلك عندما تيقن عامر بأنه لا يستطيع أن يُعول مِعُولاً، أو يحرث حرثاً " ².

أصبح عامر رئيساً ضمن رؤساء القرية وعرف كيف يستغل الوضع، وهذا بفضل ذكائه وبخبرته في المهجر أن يوجه طريقة عقد الاجتماعات بعد أن كانت فوضى عارمة ويظهر هذا من خلال قول الراوي " الأشياء الحقيقية فتجرى في الكواليس والنتيجة الوحيدة التي تترتب عن الاجتماعات العامة هي التي تمكن فلاحي كل قروبة من عداوتهم التقليدية والتطاول والسباب لبعضهم بعض، أو تمكن الأغنام من أن ترفع عقائرها دون انتظام وبدون شعور منها غيضا أو سخطا، لكن ما من أحد منهم يعرف أين ذهبت نقود المخالفات أو المشمل أو الصدقات؟ ... " ³، ففرحت عائلة عامر بهذا المنصب وكسبه الكثير من المال منه أجد الراوي قد تحاشى في الرواية توضيح طبيعة العلاقة التي تربط عامر بزوجته

¹ الرواية: ص: 48.

² الرواية: ص: 204.

³ الرواية: ص: 211-212.

الفرنسية ماري، ولم يقر بوجود علاقة حب بينهما، في حين يتعمق في تفاصيل الحب بين "عامر" وبنات قريته "شابحة" فحب عامر هو محاولة لاسترجاع شخصيته المسلوقة، لكنه لا يستطيع أن يجاهر بهذا الحب لأن أهل قريته لا يقبل إلا بالحب الطاهر العفيف الذي يتوج بالزواج، لقد مثلت شخصية عامر في الرواية الشخصية السالبة.

- الشخصيات الثانوية:

تعتبر الشخصية الثانوية ركيزة أساسية من ركائز الرواية، وهي أقل حضوراً وتواتر ولها تأثير في مجريات الأحداث: "وهي التي تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية وتكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها، وإما تبعاً لها، تدور في فلكها، وتنطق باسمها فوق أنها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها"¹.

فحضور الشخصيات الثانوية، لا يمكن الاستغناء عنها، فهي تدعم دور الشخصية الرئيسية.

أ- ماري: هذه الشخصية تعد من الشخصيات الثانوية وهي: زوجة عامر وهي سيدة أجنبية (فرنسية) لا تفهم القبائلية جاءت مع زوجها إلى قرية إغيل نزمان، هي فتاة فقيرة ومتواضعة عانت كثيراً في حياتها بباريس، وصفها الراوي بقوله: " رشيقة في قامة عامر تقريبا، ذات شعر أشقر حريري مسرح بدقة على القفى الممتلئ ... كان وجهها يمتلئ سحراً وجرأة وجه واسع أكثر منه مستديراً: جبهة مستوية، وأنف قصير جميل ... "².

ماري صورها الكاتب شخصية معجبة بذاتها، كانت ترى نفسها أحسن وأجمل من نساء القرية ولكنها كانت متواضعة، عانت كثيراً في حياتها بباريس فقررت المجيء مع عامر إلى

¹ محبة حاج معتوق: أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1994، ص: 34.

² الرواية: ص: 53.

قريته "نزلت الفتاة الباريسية في ظهيرة يوم ربيعي جاعلة كل القرية في هرج ومرج"¹، أعجبتها بلاد القبائل ووجدتها جميلة جدا لطبيعتها الساحرة ويظهر هذا من خلال قول الراوي: "بدأت السيدة سعيدة. الواقع أنه لم يخب أملها كانت تنتظر أقل من هذا كان يجب الذهاب بأي ثمن حياة الكلاب تلك حياة الكلاب الفقيرة بباريس قد طالت كثيرا"².

أشار الكاتب بأن ماري أخذت تكتشف بأنها يجب أن تعيش مثل النساء الأخريات كما لاحظت أن الرجال لا يكلمونها ولا ينظرون إليها بالرغم من أنها كانت تعرفهم في فرنسا ويظهر هذا في قول الراوي: "اقترح عليه أن يصطحبها معه إلى المقهى لتروح عن نفسها قليلا تبعته فوجدت نفسها وحيدة بين الرجال، وزادها ذلك سأمًا على سأم وذهبت إلى السوق فوجدت نفسها محل فضول الجميع"³، وهذا أكبر دليل أشار إليه الراوي في روايته عن المحافظة على الثقافة المحلية والأصل والصمود الثقافي من جهة أخرى يشير الكاتب إلى هذا العمود الثقافي من خلال شخصية ماري حيث أنها كانت تجهل عادات وتقاليد القبائل لكن العجوز كمومة عملت على تعليم وتدريب ماري لتلك العادات، فهي شيئاً فشيئاً أصبحت تنجز أعمال البيت، وتحضر طبق الكسكسي والرغيف وتشعل الحطب، كما أنها وجدت الوحدة الاجتماعية والإنسانية في هذا المجتمع.

لقد كان تأثير هذه الفتاة الباريسية على عامر كبيراً جداً، حيث جعلته ينظر إلى الواقع نظرة الإنسان الجاهل الذي يرى أن الحياة لا تستمر إلى بوجود المال وأنسته في الحياة المتواضعة البسيطة التي كان يعيشها سابقاً، مبتعداً عن عادات وتقاليد الأجداد التي لا يمكن أن يزيلها الفقر أو غيره لأنها تكون متجذرة في الفرد القبائلي.

¹ الرواية: ص: 06.

² الرواية: ص: 54.

³ الرواية: ص: 115.

منذ بداية الرواية ولعدة صفحات يلح الراوي فيها على غرابة أن تعيش سيدة فرنسية في قرية قبائلية تقليدية ومنعزلة في أقاصي الجبال " فعلا كيف نتصور أن فرنسية من باريس يمكنها أن تعيش حبيسة قرية إغيل نزمان"¹ .

وترجع دلالة هذه الغرابة في استحالة الإدماج بين الأنا والآخر، وقد أكدت أحداث هذه الرواية على استحالة هذه العلاقة من خلال ظهور علاقة بين عامر وشابحة (من نفس العشيرة) من جهة أخرى تصور الرواية شخصية ماري على أنها ابنة غير شرعية، وضفت عدم الشرعية هنا للدلالة على عدم شرعية العلاقة مع الآخر، مهما حاولت كل الأطراف التستر على ذلك.

تعامل الراوي من خلال روايته هذه مع شخصية ماري من الخارج فقط فلم يحاول رصد ما يدور في ذهنها كذلك أجد أن علاقة عامر بماري هي علاقة رسمية أكثر من أنها علاقة إنسانية واجتماعية، فهي بالضبط مثل علاقة عامر بفرنسا.

ب- قاسي: هو شيخ كبير في السن و لكنه قوي، يعمل على تربية ابنه عامر وتدليله باعتباره الإبن الوحيد له، لكن هذه التربية لم تثمر في هذا الإبن العاق، لأن شخصيته كانت عكس شخصية الأب قاسي الذي وصفه الراوي بقوله " كان أهل القرية يلتقون في الطريق بشبح قاسي الطويل القامة ففي الصباح الباكر، يخرج بخطى الشيخ الثقيلة، ورأسه في قلنسوة البرنس وعصاه بيده وجرابه الجلدي يختفي تحت قندورته وأحيانا يرافقه لدة له وخلال مسافة الطريق، يتحدثان عن شظف العيش و الأبناء العاقين وإهمال العبادات"²، على الرغم من أن قاسي كان يتحدث عن الأبناء العاقين وإهمال العبادات إلا أنه كان في داخله يفكر في المشتريات التي سيشتريها.

¹ الرواية: ص: 05.

² الرواية: ص: 23.

أشار الراوي في تعدد صفحاته للبؤس والفقر الذي تعرض له الزوجان في غياب وحيدهما وكبر سنهما، فكانا يحرمان نفسيهما عوض التخلي عن الأرض من أجل تركهما لفضة كبدتهما عامر، لكن بعد ذلك ولشدة فقرهما اتخذ القرار "وبدون ضغينة قال الشيخ سنرحل عن قريب ولا ينبغي أن نحرم انفسنا وباع الحقول، القطعة تلو الأخرى" ¹. وكانت أول قطعة تمازيغت كان لم يستلم ثمن القطعة بفرح ويذهب للسوق ويشترى ما طاب له من الأكل إلى أن باع آخر قطعة لحسين أخيه "إن أفراد عائلة آيت العربي كثيرون و لهم حق الشراء قبل غيرهم لذا لا يمكن لأجنبي أن يشتري أراضي قاسي 'الرديئة' فأبناء عمومته يلتهمونها بأثمان زهيدة" ². لقد تكفل حسين بعمه إلى أن توفي ودفنه وتحمل كل مصاريف الدفن.

ج- كمومة: هي عجوز فقيرة ذات خبرة في هذه الحياة، تزوجت من قاسي آيت العربي، وعاشت في معاناة مع قسوة وسيطرة والد ووالدة زوجها أنجبت العديد من الأطفال عاشت سنوات من التعب والسهر والحرمات في جميع أولادها إلا أنها أنجبت عامر الذي هو بطل الرواية.

قد وصفها الراوي بقوله " إنها سمراء مشربة بحمرة، مدهشة، عجفاء طويلة، ولكنها منحنية الظهر وهشة مثل قصبه جوفاء، ظهرت من تحت منديلها الممزق خصلات شعرها الصوفي، وعيناها السوداءوان الكبيرتان المرتجتان وبصرها الغامض، وجفناها الحمراءوان العاريان" ³.

يشير الراوي في عدة صفحات من روايته الواقع المرير الذي عاشته يما كمومة بعد وفاة زوجها قاسي وغياب وحيدها فلم تجد من يتكفل بها "وجدت نفسها وحيدة وبلا عائل

¹ الرواية: ص: 21.

² الرواية: ص: 24.

³ الرواية: ص: 09.

يعيلها، وذلك لأن أغلب أفراد عائلتها الأصيلة من الشباب الذين أهملوها لأسباب تتعلق بالشرف، شرف سرعان ما اقتنع به الجميع لقد أنكرتها عائلتها بسبب ابنها عامر ... بقيت حينئذ وحيدة وتمنت مرارا لو أنها ماتت قبل قاسي"¹.

ولكن بحكم تجربتها عرفت كيف تتدارك وضعها فتحت بيتها كملجأ للنسوة وفتيات الحي فأصبح مكان لتجمعاتهن واستراحتهن وبعض الفتيات ينمن عندها وعن طريقهن يعلم الجيران بمدى عوز هذه العجوز فيشترون عليها أشياء كالبرنوس الذي باعته كمساعدة لها.

يشير الراوي كذلك بالمكانة التي تحظى بها فالكل يحترمها ويقدرها الفتيات ينادينها بـ "يما كمومة"، فالجيران يهتمون بجلب لها الماء والحطب كما يبعثون لها دائما صحن الكسكسي باللحم في المناسبات و المواسم الدينية فهنا الراوي يظهر مدى التضامن والوحدة الاجتماعية والإنسانية التي تجمع سكان القرية، كانت تتحلى بالصبر كذلك لمواقف بعض الجيران حين يخفون عنها الأكل إلى أن جاء موعد عودة ابنها فيصفه الراوي "عودة ابنها المفاجئة من المهجر تعتبر قرارا ريانيا وجاء عامر لينفذ تدابير السماء وباركت الأم بالمكتوب"².

كان لهذه العجوز دورا كبيرا وفعالا في هذه الرواية، حيث لاحظت من خلال ما قرأته في الرواية، هي تريد أن توصل لنا بطريقة أو بأخرى التأثير السلبي الذي يخلفه الزواج بالأجنبيات في لحظة لا وعي، واتباع الآخر وثقافته والتفريط في عادات وتقاليد الأجداد.

¹ الرواية: ص: 26.

² الرواية: ص: 34.

د- سليمان: هو الأخ الذي يصغر رابح والذي أصبح عدوا لعائلة آيت العربي أي عامر أن يثار لموت رابح ويسترجع شرف العائلة: " فوعد سليمان العجوز علي سرا أمام الله أن يثار له، مما خفف عن علي أوقاته الأخيرة، وأثقل السنوات الباقية على سليمان"¹.

كان مكروه من قبل أهل القرية وأبناء أعمامه لأنه كان من عائلة قوية فكان لسانه طويل ولكنة يدافع عن نفسه "إنه لم ينجح سوى في كراهية الآخرين وجعلهم يكرهونه بدورهم ووصمهم له بأنه ذو قلب حقود وهو في الحقيقة قلب عذري"².

وبعد محاولة إقناع من طرف رمضان وابنته شابحة بأن عامر بريء تفهم في آخر الأمر وقرر أن يستشير درويشا وذهب مع رمضان حيث أن هذا الأخير حاول منعه لكن دون جدوى نصحه الدرويش وصرح له في هذا القول " أرفض أن أناقش حالتك، لكن لا تتوجع وتوقف عن إيلام الموتى"³ ونصحه أن يعيش بسلام ويترك الأمور إلى الله.

كان أبناء أعمامه يكرهونه وينتظرون لحظة حصولهم على ميراثه باعتباره لم ينجب الوريث، لكن سليمان وجد الحل والممثل في قول الراوي " وقد وجد التركيبة بنفسه وهي: أولا أن يبيع أملاكه إلى عامر بيعا قانونيا بعقد يوثقه القاضي، ثم يبيع عامر الكل إلى زوجته شابحة بعقد مماثل أيضا، وتتم العمليتان في ظرف شهر"⁴.

إكتشف سليمان علاقة الحب التي تربط عامر بشابحة، كانت مجرد شكوك إلى أن شاهدهما بأم عينه فثارت ثائرتة وانتقم من عامر بقتله ليموت بعده هو كذلك.

لقد وظف الراوي شخصية سليمان، كأداة وظيفية قامت بالانتقام لشرفه وشرف قريته.

¹ الرواية: ص: 150.

² الرواية: ص: 162.

³ الرواية: ص: 114.

⁴ الرواية: ص: 302.

هـ - شابحة: هي الابنة الوحيدة لرمضان وسمينة، روحها خفيفة تستطيع فرض محبتها على الجميع، واقعية في تفكيرها، حتى أن زواجها كان عقلاني، فحين تقدم لها سليمان كانت خمسة عشر سنة، وهو ثلاثون وكانت صفقة جيدة بالنسبة لها ولوالديها ويشير الراوي على ذلك في قوله: " عائلة كبيرة، و ماض يتمناه كل إنسان، ورجل سوف يجعل منزلا بين يدي ابنتهم في الحال، وذلك لأنه لم يكن له أما ولا أختا، فقبلوا به ... وتصورت شابحة نفسها بأنها محظوظة ونسيت أحلامها السانجة، وتقمصت بسرعة هيئة المرأة المتعلقة، سيدة البيت"¹، كانت مطيعة لزوجها تتفق معه في كثير من مجالات الحياة اليومية، متمسكين ببعضهم البعض، لمدة عشر سنوات لم ينجبا الأطفال حيث اصبح جل همهما الإنجاب جربت شابحة الخلطات والعقاقير لكن دون فائدة، كانت واثقة من عدم زواج زوجها عليها وإنجاب وريث له.

ونظرا لطبيعتها الاجتماعية والتي تظهر في قول الراوي " لقد قررت شابحة قرارا لا رجعة فيه، وهو أن تغزو القادمين من باريس ومن الصعب أن يثنيها أحد على ذلك " ².

فكسبت محبتهم، ودعت يما كمومة إلى منزلها، وأعطتها غرفة من غرف بيتها لكي تنام فيها كل ليلة، وأصبحت تذهب إلى منزل كمومة باستمرار، وإذا بها تكتشف أنها تحب عامر وأصبحت تحس بالتعاسة إذا لم تره، إلى أن تطورت العلاقة بينهما بنسيج من حيلة العجوزتان سمينة وكمومة " لقد كانت شابحة بالعادة عفيفة، وبدون أي تعال ولم يكن ولم تكن تطيق بعض النساء اللواتي تقال عنهن الأقاويل، فلم تكن ترق لحالهن أبدا ومنذ أن عرفت عامرا ومنحت نفسها له، صارت تتصور بأنها تشبههن " ³.

¹ الرواية: ص: 162.

² الرواية: ص: 152.

³ الرواية: ص: 262.

وبعد انفجار الفضيحة من قبل إحدى النساء وهي حمامة زوجة حسين، كانت شابحة قوية ودافعت عن نفسها ويظهر هذا من خلال قول الراوي: " لكن شابحة انفجرت ضاحكة أمام الكلام الفاحش استرجعت برودة أعصابها، لقد كانت مقتنعة بأنها أفضل من هذه المرأة الشريرة وأفضل من كل الفضوليات المتعطشات للفضائح " ¹.

كانت هذه الشخصية "شابحة" هي بدورها مفتقدة للحب فرغم عفتها إلا أنها وقعت في الخطأ وفي الأخير أكتشف بأنها حامل من عامر بعد وفاته وفرحت بما كمومة بذلك.

سمينة: هي عجوز كبيرة وصديقة كمومة تحظى بصداقات وإعجاب جميع النساء، يصف لنا الراوي هذه الشخصية من خلال قوله " سمينة أصبحت ذات شخصية مزدوجة منذ بعض الوقت، من جهة هناك سمينة الساذجة، السليمة الطويلة، وسمينة الماكرة في الآن نفسه إنها تمتلئ رقة ودهاء، من جهة أخرى هناك سلامة النية " ². الشيء الذي شغل بالها هي ابنتها شابحة وعدم إنجابها لوريث وأنها ستكون وحيدة بعد وفاتها هي ووالدها، فما كان عليها إلا لتدبير حل لوضع ابنتها مع صديقتها كمومة.

حسين: هو ابن عم عامر، شاب جميل عينيه ذاتا لون أزرق وهو الذي اشترى قطعة الأرض تيغزران من قاسي وتكفل به إلى أن مات "فقد جاء لنجدة العجوزين دون خلفيات مسبقة، وقدم نفسه كقريب كريم، وبذلك ظهر فعلا اقترح على قاسي أن يمونه بنفسه ويعفيه من التنقل إلى سوق القبيلة ... أحيانا كان يحدثهما عن عامر الذي رآه في المدة الأخيرة حينما سافر هناك وكأنها صدفة لا ينكره إلا بشر فيحنني العجوزان رأسيهما خلصة، ويغرقانه بالدعوات الصالحة، التي كانا يريدان إسداءها إلى الأبن العاق " ³.

¹ الرواية: ص: 271.

² الرواية: ص: 240.

³ الرواية: ص: 25.

"أراد حسين أن ينجب وريثا يملكه أراضيه فرَّجته زوجته حمامة بابنة عمها فطة إذ أنها تهيئها وتستهنئ بها، إلى أن رزق حسين بوريث فكانت الفرحة لا تسعه ولكن هذه الفرحة كانت مقترنة بتعاسة فطة التي أبعدها زوجة حسين عن ابنها فتوفيت بعد عامين نكدا وغيظا على ابنها إن حسين يتمسك كثيرا بأرضه وحمامة تتمسك كثيرا براحتها ولم تكن تعلم من الذي تتعلق به اللعنة فحاولت حينئذ التجربة وهذه التجربة ستكون مثمرة بكيفية أو بأخرى، وعندما علمت أن فطة حامل إتضح الموقف أمام عينيها، ولم يعد ممكنا أن تتخلى عن حسين بأي حال من الأحوال".¹

كان حسين في المحجر لما توفي عامر ويظهر هذا من خلال قول الراوي: "كان حسين يجلس بالقرب من عامر، وقد وضع رأسه على ركبته، وانكب على ابن عمه باكيا".²

3- المكان:

"إن المكان يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا أو سلبيا بل إنه أحيانا يمكن للراوي أن يحول عنصر المكان إلى أداة للتعبير عن موقف الأبطال".³

"فإسقاط الحالة الفكرية أو النفسية للأبطال على المحيط الذي يوجدون فيه يجعل المكان دلالة تفوق دوره المؤلف كديكور أو كوسط يوطر الأحداث إنه يتحول في هذه الحالة إلى مُحاورٍ حقيقي" ⁴. وعلى هذا ينبغي دراسة المكان من داخل النص الروائي.

وتخضع الأمكنة في تشكيلاتها إلى مقياس مرتبط بالاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاق.

¹ الرواية: ص: 175.

² الرواية: ص: 316.

³ حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ط1 سنة 1991 ص: 70.

⁴ المرجع نفسه، ص: 71.

1- أولاً - الأماكن المغلقة:

"هو المكان الذي يأخذ صفة الانغلاق والعزلة لدى الراوي على بعض الأمكنة، والمكان المغلق يقطع كل صلة بينه وبين ساكنيه، لأنه مكان مقيد يحد من حرية ساكنيه كما يفرض عليهم نمطا خاصا من العيش ... من خلال صفة الانغلاق أو الضيق".¹

وليس معنى هذا أن المكان المغلق، يكون خالي من أي جمالية بل على العكس قد يتيح المكان للشخصية فرصة العودة إلى الذات، ومن الأمكنة المغلقة في رواية " الأرض والدم".

أ- البيت:

"إن البيت كفضاء للسكنى يجسد قيم الألفة بامتياز ولأن البيت مأوى الإنسان فإنه يمثل وجوده الحميم، يحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية وحميمية".²

فبيت بطل هذه الرواية هو ذلك البيت القديم الضيق، والذي لم يتغير أثناء فترة غياب عامر "منزل كمومة هو نفسه المنزل الذي ولد فيه عامر، ومات فيه قاسي منذ عشر سنوات أثناء غياب الإبن الضال ... لم يتغير شيء فيه، هكذا يكون قد فكر عامر عند رؤية المنزل ... إن الرجاج الخشبي المنخور ليس له إلا مصراعا واحدا، لذا لا ينبغي إصلاحه ... فهذا المكان الهندسي المجرد من العواطف والأحاسيس، يتحول في هذه الرواية إلى بؤرة العواطف والحنان والراحة النفسية، خاصة بعد رجوع عامر من الغربة فأصبح جو الأسرة و دفننها يغمر البيت "رغم أن صورته التي وردت في الرواية على أنه بيت متواضع بجواره مسجد صغير، ويأتي في نهاية الزقاق بالحي، فسكان الحي يشكلون قرابة واحدة، وكلهم يعملون في

¹ جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2015م-1436هـ ص: 109.

² محمد بوعزة: تحليل النص السردى تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان - بيروت - ط1، 1431 هـ - 2010 م، ص: 106.

الخارج (حقول) نساء ورجال وعند الإنتهاء تبقى النساء في البيوت " ¹، لقد استغلت كمومة بيتها أثناء فترة عوزها حيث وضعت طاحونة يدوية أمام الباب للنسوة، ليجبرنها على أخذ حفنة من جهة أخرى أصبح ملجأ للإستراحة من قبل النسوة " وقد أضحى بيتها بالنسبة لكثير من فتيات الحي عبارة عن غرفة انتظار ما قبل الزواج " ² من خلال عيشهن معها يدرون بمدى عوزها فالبيت خدم أوضاع كمومة وعم عليها بالفائدة.

من جهة أخرى صور مولود فرعون شخصية البطل " عامر " الذي ينتقل من مكان إلى مكان في اختلاف الأزمان، أي أنه انتقل من بيته الذي هو بمثابة البئر الذي يلقي فيه كل أحاسيسه ومشاعره تاركاً إياها خلفه مباشرة نحو فرنسا المكان الثاني والغريب عليه الذي استقر فيه عامر مدة طويلة متناسياً أرضه ودمه وأصله حتى اعتقد الكثير أنه ضال.

ب- القرية:

"تبدو القرية مكاناً أساسياً في العالم العربي ... تعامل الأدباء (والشعراء خاصة) معها بوصفها نقيضاً لـ "المدينة" حيث تمتاز الأولى (القرية) بمواصفات طبيعية وبشرية تجعلها أقرب "للملاذ" النفسي والروحي لـ "الأديب" على العكس من "المدينة" التي يصبح الإنسان فيها صغيراً ومغترباً تحكمه بغيره - غالب - علاقات مادية نفعية " ³.

تلعب القرية دور الإطار الخارجي الذي يحيط بجميع الأمكنة الموجودة في متن الرواية تقريباً، ولا يميز منها مخرجا إلا عندما يذكر الراوي مكان اغتراب عامر (فرنسا) ليعود للقاء عائلته وإلى أرضه من جديد.

¹ الرواية: - بتصريف - ص: 27.

² الرواية: ص: 30.

³ محمد السيد إسماعيل: بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002 ص: 29.

الراوي ركز على البيئة الريفية ولهذا التركيز بعده الاجتماعي ودلالته، فهو جزء لا يتجزأ من هوية الإنسان الريفي، و رمزه الإنتماء إلى الأرض والوطن حيث يصفها في قوله " تتكون القرية من مجموعة منازل، والمنازل تتشكل من ركام أحجار، وتراب، وخشب لا نكاد نصدق أن يكون الرجل البناء قد تدخل فعلا في تشييدها، كما لا يمكن أن تكون أيضا قد انبثقت بمفردها كالمعجزة .."¹. "كما يصفها كذلك إنها قرية بها مدرسة صغيرة، وعدد من المنازل بطابق واحد، ومسجد أبيض اللون يُلوّح من بعيد ربما يقول قائل: إن مكانا متواضعا كهذا لا يمكن أن يكون شاهدا إلا على حياة عادية مبتذلة"².

إن القرية هي أكثر الأماكن التي نسجت عليها أحداث الرواية، حيث أجد أن الراوي قد وصف الحالة المعيشية لسكان قرية إغيل نزمان، فهناك الفقير والغني والمتوسط ويظهر الفقر من خلال قوله: "إن أقدم بيوت إغيل نزمان ... تحمل ثقل القرون بقرميدها المسود، وأوصالها الملاطية المفككة وسقفها القرميدية المعوجة التي توشك على الإنهيار"³. رغم اختلاف مستويات المعيشة بينهم إلا أن هناك محبة ورحمة ورغبة في تحسين أوضاعهم عن قبل إن بطل الرواية يعيش بحرية في هذا المكان وانفتاح نفسي، إلا أنه كان يطمح في الخروج منه لتحسين أوضاعه وظروفه المعيشية، لقد مثلت القرية بالنسبة لعامر الوطن الأصلي الذي تربى فيه وترعرع، كما أنها تمثل انتمائه وهويته وذاته.

لقد لعبت القرية دورا هاما وبارزا في نفسية البطل، حيث طغت على كامل الرواية وأحداثها وكان لها تأثير على شخصياتها كذلك على عكس المدينة، كما للحقل وقع في نفس عامر ومكانة خاصة في ذاكرته، و حبه وتعلقه بالأرض تغزران واهتمامه بها، فالحقول في القرية تعتبر مصدر معيشة لهم، والأرض كنز ثمين لا يمكن الاستغناء عنها فهي تعتبر

¹ الرواية: ص: 11.

² الرواية: ص: 05.

³ الرواية: ص: 11.

مصدر معيشة أهل القرية، كما أن السبالة العمومية هي مكان محبب لكل فتاة قبائلية، فالقرية تتميز بطبيعة خلابة تسر الناظرين هواء نقي، ومناظر ساحرة "جبال جرجرة بكثافتها المتظافرة وكأنها تخفي عن الأنظار عالما خياليا مختلفا تمام الاختلاف عن عالمنا إنها جبال عملاقة جبارة جرداء ذات بياض رمادي باهت ... ولا تزال قممها مغطاة بالثلوج الساطعة، رغم حلول شهر أفريل هذا بسمائه الزرقاء"¹. فهذه المناظر تتيح للشخص فرصة العودة إلى الذات ونسيان مشاق الحياة وهمومها.

ثانيا - المكان المفتوح:

"هو المكان الذي يأخذ صفة الانفتاح هو المكان الذي يأخذ صفة الانفتاح لدى الراوي على بعض الأمكنة وهو كل حيز كبير أو صغير قائم أو متحرك، يحتوي الحدث والشخصية والفكرة ... إن الفرد حين يعايش المكان المفتوح يترك أثرة بوضوح، ويسقط عليه كل حيثياته وتمثيلاته فيغدو إنسان آخر"². إن المكان المفتوح يكون متميزا بالشخصية التي تنطلق منه تتمتع بالحرية في مطالبها وتصرفاتها وانفعالاتها ورغباتها.

أ- المدينة:

"المدينة ظلت متسربة داخل عالم القصة القصيرة حتى وهي تصور فضاء القرية ... وهكذا تظل المدينة متسربة دائما حتى مع أكثر القصص تصويرا لفضاء القرية"³. وهذا ما وجد في الرواية حيث أن المدينة تعد من الأمكنة الثانوية المذكورة في الرواية و تحتل مكانة مهمة ذلك أنها مثلت النقيض بالنسبة لمكان القرية فالمدينة رمز للثقافة والتطور في رأي عامر، حيث ذكر الراوي أنهم كانوا يذهبون إليها أحيانا للتسوق وقضاء أشغالهم

¹ الرواية: ص: 51.

² جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، م . س، ص: 108.

³ محمد السيد إسماعيل: بناء فضاء المكان، م . س، ص: 54.

حيث أن المسافة بينها وبين القرية تقتضي ساعتين حيث قال الراوي " رافق عامر سليمان إلى القاضي بالمدينة واشترى منه أملاكه طوعاً " ¹. وهذا ما جعل بطل الرواية يخرج من القرية متجهاً نحو فرنسا، بلد الحضارة لأنه يرى فيها كل النجاح وتحقيق طموحة ورغبته في تحسين أوضاعه والخروج من أزمة الفقر التي تعاني منها عائلته.

ج- فرنسا:

"ولا شك أن استحضر فضاء المدينة الغربية وتقديمه مقارنة بفضاء "إحدى القرى ... يبرز هذا الفضاء المدني وما يتمتع به من مظاهر الحضارة ... وهي مظاهر تجمع بين المادي والمعرفي دون فصل بينهما، فلا شك أن هذه المظاهر المادية هي نتاج التقدم المعرفي".²

"لقد انتشرت ظاهرة الهجرة نحو فرنسا ويظهر ذلك في قول الراوي يجب القول بان هذه الفترات البطولية التي سبقت الحرب العالمية الأولى كان القبائل في بداية اكتشافهم لفرنسا"³. فهذا المكان الذي يلجأ إليه القبائلي ومعظم شعوب شمال إفريقيا للنهوض والخروج من تلك المعيشة المزرية، مثل هذا المكان حلم كل شاب قبائلي ومن بينهم الشخصية البطلية "عامر" حيث كانت نظرته لهذا المكان خروج من الأزمة المالية والفقر الذي تعيشه عائلته، ففرنسا في هذه الرواية مثلت الموطن الغني لكل قبائلي فقير.

كما أن فرنسا تمثل ذلك الموطن المؤقت وليس الدائم، فمعظم المسافرين إليها يسافرون بهدف جمع المال والرجوع بثروة، لأن الفقر هو أكبر عائق يجعل الإنسان يترك أهله وموطنه مدة طويلة، وخاصة أن عامر هو الأبن الوحيد في عائلته.

¹ الرواية: ص: 302.

² محمد السيد إسماعيل: م . س، ص: 83.

³ الرواية: ص: 60.

"تحدث الراوي عن فرنسا في عدة مواضيع وعدة أحداث مرتبطة بشخصية البطل مثلا في قوله "لقد رآه كل أفراد قريته الذين زاروا باريس يعيشون رومية ويقومون في فندق متواضع من الدرجة الثالثة في حي بارباس"¹.

لقد احتل المكان مساحة واسعة من ذاكرة بطل الرواية الأرض والدم، حتى بدأ أن تأثيره عليه اقوى من تأثير الزمن، حيث يعتبر الإطار المكاني لوقوع الأحداث هو الإطار الموازي للوضع الاجتماعي ويظهر هذا من خلال توظيف الراوي للأماكن البسيطة سواء في فرنسا أو القرية التي عاش فيها البطل وباقي الشخصيات، فكلهم يعكسون أو يعتبرون مرآة عاكسة للمستوى الاجتماعي وطبيعة المجتمع في تلك الفترة.

4- الزمان:

"للزمن أهمية في الحكيم فهو يعمق الإحساس بالحدث وبالشخصيات لدى المتلقي"². فالزمن عنصر مهم في البناء السردي، فالشخصيات تقوم بأحداث وأفعال تدور حول ثلاثة أزمنة: مستقبل وحاضر وماضي ومن بين الزمن الذي ورد في الرواية أجد:

أولاً: الاسترجاع:

ويأخذ تسميات عدة من بينها: الاستذكار، التذكر ومعناه إيقاف السرد والرجوع إلى حدث ماضي " يترك الراوي مستوى القصة الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدثها"³، وينقسم الاسترجاع إلى قسمين استرجاع داخلي واسترجاع خارجي.

¹ الرواية: ص: 15.

² محمد بوعزة: تحليل النص: السرد تقنيات ومفاهيم، م . س، ص: 87.

³ سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع 2004 ص: 58.

أ- الاسترجاع الخارجي:

يقوم على العودة إلى ما قبل بداية الرواية وله أهمية " بالنسبة للاسترجاع الخارجي فيلجأ إليه الكاتب لملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث"¹.

فالاسترجاع الخارجي قد يكون بعيد المدى أو قصير المدى وتشكل هذا الاسترجاع بوضوح في الرواية ونلمسه في هذا القول: " الفترات البطولية التي سبقت الحرب العالمية الأولى كان القبائل في بداية اكتشافهم لفرنسا وقبل هذه المدة، اكتفى بعضهم بالذهاب للعمل في مستثمرات الفلين بسكيدة وبجاية والبعض الآخر انخرط في حفر مناجم الفوسفات بالضواحي القسنطينية وقفصة"². أجد بأن الراوي قد عاد إلى ماض بعيد يخص سكان القبائل وسعيهم لتوفير لقمة عيشهم.

كذلك قوله: لقد هجر القرية منذ خمس عشرة سنة. يا إلهي! كان ذلك ذات صباح ربيعي، ربما في شهر مارس إنها تحيل إلى ماضي وإلى طول غيابه في المهجر حيث أنه هاجر وهو شاب.

كذلك يظهر الاسترجاع في قول الراوي: كان أهل القرية يلتقون في الطريق بشبح قاسي الطويل القامة. ففي الصباح الباكر، يخرج بخطى الشيخ الثقيلة: ورأسه قلنسوة البرنس وعصاة بيده، وجرابه الجلدي يختفي تحت قنودته وأحيانا يرافقه لدة له. وخلال مسافة الطريق يتحدثان عن شظف العيش، والأبناء العاقين وإهمال العبادات. هنا استرجاع خارجي لمعالم قاسي واسترجاع طويل المدى كذلك ذكر الراوي استرجاع خارجي طويل المدى ولكنه مبهم لأن الراوي لم يفصح عن السنة ولا عن اليوم والشهر المتعلق بوفاة قاسي والذي يظهر

¹ م . س، ص: 58.

² الرواية: ص: 60.

من خلال قوله: توفي قاسي بين أحضان هذا الإبن بالتبني الذي كان رائعا إلى النهاية، وكانت له الشجاعة الكافية بأن تحمل كل مصاريف الدفن.

ب-الاسترجاع الداخلي:

وهذا النوع من الاسترجاع يعنى به العودة إلى ماضٍ لاحق لبداية الرواية أي استعادة أحداث ماضية، قد تأخر تقديمها " أما الاسترجاع الداخلي فيتطلبه ترتيب القص في الرواية وبه يعالج الكاتب الأحداث المتزامنة حيث يستلزم تتابع النص أن يترك الشخصية الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية"¹. فهذا النوع له أهمية في الكشف عن الجوانب الخفية في الشخصية وربط الأحداث كذلك، وأجد هذا النوع من الاسترجاع في الرواية من خلال قول الراوي: "وما أن استقرت ماري ببلاد القبائل، حتى أمكنها أن تسترجع هي الأخرى شريط حياتها بجلاء. ما الشيء الذي كانت ستتأسف عليه أخيرا؟ لقد كان بالإمكان أن تأخذ حياتها شكلا آخر والصدفة هي التي أبت ذلك! ... كانت والدتها قد ارتبطت مرة أخرى بسيد كبير السن ... ونادته بابا لمدة خمس سنوات"². وفي هذا المقطع قد مثل استباق داخلي حيث أن ماري تسترجع شريط حياتها في باريس وتذكرها لأمها وهي في بلاد القبائل.

"وفي موضع آخر يرد الاستباق الداخلي في قول الراوي: لقد كانت ماري فتاة فقيرة ولم يكن لديها أي حكم مسبق على أولئك الأشخاص الذين أتت لتبحث عن السكنة بينهم"³. هنا الراوي سرد لنا وضعية ماري أثناء مجيئها وجهلها لسكان قرية إيغيل نزمان.

¹ الرواية: ص: 60.

² الرواية: ص: 122.

³ الرواية: ص: 117.

ثانيا: الاستباق:

"هذه الظاهرة نادرة في الرواية الواقعية في القص التقليدي عموماً".¹ وهو توقع وانتظار الحدث قبل وقوعه فهو بمثابة تصوير مستقبلي لحدث فالاستباق هو عكس ونقيض الاسترجاع فقد ورد هذا النوع من الزمن في رواية الأرض والدم ولكن بقلة فقد ورد في قول الراوي: يتحتم عليه قريباً أن يتصرف مثل نويه لأنهم سوف يحكمون عليه من خلال انجازاته ماذا سيفعل الآن؟ هنا يتبين تساؤلات أهل القرية كيف ستكون شخصية عامر بعد عودته من فرنسا.

وكذلك قوله: " أليس من المدهش أن تكون إحدى هذه الشخصيات باريسية الأصل؟ فعلا كيف نتصور أن فرنسية من باريس يمكنها أن تعيش حبيسة قرية إغيل نزمان؟ " ². هنا تظهر دهشة الراوي كيف لفتاة باريسية أن تعيش حبيسة قرية قبائلية، وهذا راجع للاختلاف المتباين بين المكانين (القرية وباريس) وكذلك الصراع القائم بين عادات المجتمع الغربي والمجتمع العربي.

كما جاء الاستباق كتصريح أو إعلان سرد الأحداث لاحقا ويظهر ذلك من خلال هذا القول: "وجدت نفسها وحيدة وبلا عائل يعيّلها وذلك لأن أغلب أفراد عائلتها الأصلية من الشباب الذين أهملوها لأسباب تتعلق بالشرف شرف سرعان ما اقتنع به الجميع. لقد أنكرتها عائلتها بسبب ابنها عامر (وهذا ما سنرويه فيما بعد)" ³.

فالراوي هنا أشار إلى السبب الذي أدى لترك كمومة من طرف أهلها والمتعلق بالشرف ولكنه لم يوضح باقي التفاصيل بل تركها لفترة أخرى مع تتالي الأحداث وسيرورتها.

¹ سيزا قاسم: بناء الرواية، م . س، ص: 65.

² الرواية: ص: 05.

³ الرواية: ص: 26.

وبهذا فإن الاستباق والاسترجاع كانت لهما مكانة مهمة في تحريك أحداث العمل الروائي وبالتالي يمنحانه الاستمرارية من جهة أخرى يزيدان النص جمالا وتشويقا.

5- اللغة:

" اللغة هي التفكير، وهي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها. بل هي الحياة نفسها إذ لا يعقل أن يفكر المرء خارج إطار اللغة، فهو لا يفكر إذن إلا داخلها أو بواسطتها، فهي التي تتيح له أن يعبر عن أفكاره فيبلغ ما في نفسه، ويعبر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه ... الحب دون لغة يكون بهيميا والإنسان دون لغة يستحيل إلى لا كائن إلى لا شيء" ¹.

"اللغة عظيمة الشأن، رفيعة القدر، كريمة المكانة، عالية القيمة: لدى كل الأمة لأنها هي مُضطرب تاريخها وحضارتها وجراب رقيها وانحطاطها ومن أجل ذلك كله يجب أن نعير أهمية بالغة للغة الإبداع ... على أساس أنها هي مادة هذا الإبداع وجماله ومرآة خياله، فلا خيال إلا باللغة، ولا جمال إلا باللغة، ولا صلاة إلا باللغة، ولا أحب إلا باللغة، ولا حضارة إذن إلا باللغة ... فهل بعد كل هذا يمكن أن ندبج كتابة أو نكتب أدبا، أو نقرأه خارج اللغة؟" ²

فاللغة هي الدليل الملموس على أن ثمة رواية ما يمكن قراءتها وفي هذا الصدد يجب القول إن مولود فرعون في كتاباته وفي (الأرض والدم) موضوع الدراسة قد استعار اللسان الفرنسي للإفصاح عن خلجات القلب العربي الجزائري، وسرد أوضاعه للمتلقي، كما يجب الإشارة على أن اللغة الفرنسية بين يديه هي لغة طيبة.

¹ عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - صدرت السلسلة في شعبان 1998 بإشراف أحمد مشاري العدوانى 1923-1990 ص: 93.

² م . ن، ص 97.

كما يظهر جليا في هذه الرواية صورة تعبيرية واضحة لحياة المجتمع الجزائري في فترة ما فاستعمل مولود فرعون أساليب كثيرة، إذ تميز أسلوبه بسرد واقع المجتمع الجزائري وما يعيشه هذا المجتمع وهذا من خلال ما عاشه الروائي، داخل قريته الصغيرة المتواجدة في بلاد القبائل بطريقة مؤثرة وجذابة وناقلة للواقع المعيش، حيث عبر عن هموم المجتمع الجزائري بلغة الأرض والدم، فمولود فرعون هو أديب بارع ومتقن وظف عدة مفردات وكلمات بكل ما تحمله من دلالات لغوية كالقلق والاضطراب من جهة و الفرح والتفاؤل من جهة أخرى وكل هذه الدلالات دلت على شخصية الكاتب و انتمائه لمجتمعة بما يحمل من عادات وتقاليد ويظهر هذا كذلك في المفردات التي وظفها في الرواية وهي: ثاروميت، تمازيغت، رومية، تيغزران فكلها مفردات محلية نبعت من وجدان الكاتب، بالرغم من انتمائه إلى الكتابة الفرنسية، حيث عبر بها رغم صعوبة فهمها، والواضح أن دلالة هذه المفردات هو التأكيد على الأنا وممارسة حضوره في النسيج الروائي حضورا يبرزه ويرسم حدوده في تقابل الآخر عن طريق هذه المفردات بالذات، كما أن الراوي لم يوظف أبدا المفردات التي تدل أو توحي إلى الخيال. بل اتخذ العبارات التي تدل على الواقع والتي يسهل استيعابها مباشرة عند تلقيها، فلغة الرواية سهلة بسيطة غير معقدة وهذا ما يتناسب مع الرواية الواقعية.

6- الحوار:

" يعرف الحوار بأنه تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر، وهو نمط التواصل، حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي ويتصل الحوار بأوثق سمات الحياة وهي الديمومة في إقامة التواصل".¹

¹ ميساء سليمان الإبراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، مطابع وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق - ط1، 2011 ص: 171.

"يعد الحوار أداة طيعة في رسم الشخصيات والكشف عن موقفها فضلا عن تقديم الأحداث وتطورها".¹ حيث أن الحوار يجذب المتلقي إلى جو النص ويقوي البنية السردية للرواية، ويعد عنصرا أساسيا في كثير من الفنون الأدبية من بينها الرواية، فهو من أساليب التعبير والأداء بحيث يبث الحركة والحيوية وله دور هام في تغيير مجريات الرواية، فهو يساعد على رسم الشخصيات وأدوارها. بحيث يوجد في هذه الرواية لمولود فرعون الحوار بنوعيه حوار خارجي وحوار داخلي.

أ- حوار خارجي:

" هو الذي يدور بين شخصين أو أكثر في إطار المشهد داخل العمل القصصي بطريقة مباشرة فعلية أطلق عليها تسمية الحوار التناوبي، أي الذي تتناول فيه شخصيتان وكذلك يقوم على تبادل المعرفة بين الطرفين اللذين يسعيان للتحليل والتفسير للوصول إلى نتائج ترضي الأطراف المتحاورة".²

فيما يخص الحوار فإن رواية مولود فرعون حفلت بمشاهد حوارية عديدة، فبراعة الكاتب قد تجلت في حسن تقديمه واختياره للجمل القصيرة أو الطويلة حسب المعنى المراد، وذلك لتكون موحية للدلالة.

فمن الحوار بالجمل القصيرة التي وردت في رواية " الأرض والدم " أذكر على سبيل المثال الحوار الذي جرى بين " كمومة " و " قاسي " وذلك عندما وجدا نفسيهما وحيدين مهملين فقررا أن يبيعا قطع الأرض التي يملكانها من أجل الخروج من حالة البؤس والفقر.

¹ سناء سلمان العبيدي: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط1، 2016م-1437هـ، ص: 134.

² م . س . ص: 136.

قالت كمومة:

- هل سلمك الثمن نقدا؟

- نعم، ها هي القطع النقدية.

- حسنا فعلنا الآن، نحن مرتاحان خبزنا مضمون.

- "هذا رأيي أيضا".¹

ومن الحوار أيضا بالجمل الطويلة ما ورد بين عامر وأمه كمومة وذلك حين خصص لها مكان ومقعد تجلس وتتكأ عليه، لكنها رفضت وفضلت عليه مكانها العادي وهو أن تجلس على الأرض وهامتها مستندة على الجدار وموقد النار بالقرب منها.

- وأنا الذي جلبته خصيصا من أجلك يا أماه !

- لا حاجة لي به يا ولدي، سوف يستعمل للضيوف ومستقبلا لأولادك.

- الأولاد ! أكرر لك بأنني لا أمل فيهم، وها قد مرت ثلاث سنوات على زواجي.

- زواجك كيف يا ولدي؟

- نعم، إن شئت ذلك نحن معا منذ ثلاث سنوات، إنه شيء واحد.

- آه ! أمضيت على أوراق؟

- لا تنظري إليها بهذه الكيفية، لقد بدأت تتوجس في أننا نتحدث عنها.

- أنا ! لكنني أحب زوجتك كثيرا، نعم، نعم كثيرا، ما يكفيني لمأ منزل وها أنا أقبلها.

¹ الرواية: ص: 22.

قبلت السيدة العجوز بدورها وطلبت ترجمة الحوار الذي دار بينهما.¹

وجاء في الرواية أيضا الحوار الذي دار بين بعض النسوة في حديثهن عن ماري (السيدة الفرنسية) واما كمومة.

- إن كمومة لفي غاية السعادة !

- بالتأكيد، لها أن تسعد! عاد لها ولدها. المهم أن تبقى هادئة، وتموت في سلام.

- اما كمومة امرأة طيبة، لكن من يعلم؟ إنها أولا وأخيرا عجوز. أنا لا أقول شيئا قبل أن يأتي اليوم الذي تفهم فيه إحداهما الأخرى.

- يجب السير باستقامة مع امرأة فرنسية، والطاعة كالأغنام. يقال بأنها قد فرضت نفسها فرضا على عامر، وهي التي رغبت في المجيء إلى هنا.

- سوف تتدم على وطنها. لقد اختارا فصل الربيع، وبعد ذلك سيأتي فصل الصيف والشتاء، أنا سأكون سعيدة أن أراها حافية القدمين مثلنا، وعلى ظهرها جرة أو سلة.

- آه المسكينة ! إنها رهيفة أرأيتن بشرتها ! إن جعلها تعمل سيكون ذلك جريمة وشمسنا الجهنمية سوف تسفحها ببشاعة.

- "إنها لن تعمل إلا إذا شاءت هي وإذا أردت رأيي فإنها لن تغلق الباب على نفسها مثل زوجة أمين، لا، إنها سوف تخرج ولكن لتذهب إلى تاجماعت والمقهى، والسوق والمدينة كالرجل، ماذا؟ لقد شرح لي زوجي ذلك إنها تخرج بمفردها وتشتري ما تريد وتتكلم مع من تشاء".²

¹ الرواية: ص: 36.

² الرواية: ص: 42.

للحوار أهمية كبيرة من وسائل الاتصال الفعالة ومطلب إنساني يحتاجه كل فرد للاندماج في الجماعة والتواصل مع الآخرين ومشاركتهم والتفاعل معهم كما يعكس الحوار الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي للأمم والشعوب المختلفة.

ب- الحوار الداخلي (المونولوج):

"هو الحوار الفردي الذي يعبر عن الحياة الداخلية للشخصية".¹

"هو ذلك التكنيك الذي يستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية التي توجد فيها هذه العمليات في المستويات المختلفة للانضباط الواعي قبل أن تشكل للتعبير عنها بالكلام على نحو مقصود.... يعمد الكاتب في المونولوج إلى رسم الشخصية من الخارج، وإنما يتغلغل في داخلها للكشف عن واقعها الداخلي وإحساسها ومشاعرها التي تختلج فيها".² فهو الذي يكشف عن الأبعاد النفسية والنوازع والاضطرابات ويثير اهتمام القارئ ويبعثه على الاهتمام أكثر بالرواية.

"وظف مولود فرعون في روايته المونولوج ويظهر هذا في حوار شابحة مع نفسها قالت في نفسها المؤكد أن كمومة ستفاجأ مفاجأة كبيرة وكذلك مادام أما والذي سيفترض بأنني في منزلك، بالفعل هذا ما تكون قد قالت له والدتي حسنا يا والدتي قلت الحقيقة سينام الشيخ قرير العين رغم حساباتك البشعة. والآخر الذي لن يشك في شيء أيضا هي مادام، حسنا سأذهب إلى منزلها وسننام جنبا إلى جنب بكل رزانة".³ مثل هذا الحوار المونولوج وهو حوار الذات مع الذات لشابحة لما اصطحبها عامر لكي تقضي تلك الليلة في بيته مع والدته وزوجته بعد اكتشافهما الفخ الذي نصبته العجوزان.

¹ سناء سلمان العبيدي: الشخصية في الفن القصصي والروائي، م . س، ص: 134.

² م . س، ص: 134.

³ الرواية: ص: 254.

وكذلك في مثال آخر: "وجدت نفسها وحيدة، وبلا عائل يعيّلها، وذلك لأن أغلب أفراد عائلتها الأصيلة من الشباب الذين أهملوها للأسباب تتعلق بالشرف ... بقيت حينئذ وحيدة، وتمنت مرارا لو أنها ماتت قبل قاسي. امتلأت عيناها بالدموع ولكنها قدرت بموضوعية عن أن ابن العم ذاك لم يسرقهما".¹

ألمس من خلال هذا المونولوج الحزن الذي يسكن في أعماق كمومة التي كانت تحاور نفسها مرارا وتمنت الموت قبل زوجها.

لقد طعم مولود فرعون روايته بعديد من المشاهد الحوارية فزادت في متعتها وتشويقها فالحوار من العناصر الأساسية المكونة للسرد، حيث ساعد على سرد الأحداث والأخبار فمن خلاله نقلت مجريات الأمور، وساهم كذلك في تطور الأحداث وسيرها سيرا حسنا بحسب مشيئته ومقصده.

كان عنصر الحوار إذا حاضرا في الرواية بشكل قوي لافت للنظر ولكن وُصف الحوار الخارجي أكثر من المونولوج في روايته.

¹ الرواية: ص: 27.

خاتمة

خاتمة:

بعد الجهد الذي قمت به في دراستي الواقعية في رواية الأرض والدم وقفت على جملة من النتائج التي أخصها في النقاط التالية:

– إن الواقعية لدى مولود فرعون تتجلى لأول وهلة في عناوين رواياته وهذا ما ميز الإنتاج الروائي الواقعي لمولود فرعون.

– الواقعية التي صورها مولود فرعون في رواية الأرض والدم هي الواقعية الاشتراكية، حيث تعد هذه الرواية من الأعمال الأدبية الرائعة التي خلفتها كتاباته، رغم الزخم الثوري وهي نموذج حي للمجتمع الجزائري آنذاك.

– اتخذ مولود فرعون في رواية الأرض والدم اللغة الفرنسية أداة للتعبير وفي الحقيقة تصنف أدبا جزائريا لأنها نقلت الواقع الجزائري السياسي والثقافي والاجتماعي.

– الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية تعتبر ظاهرة مهمة في تاريخ الأدب الجزائري الحديث، حيث أنها أنجبت تجارب روائية جد متقدمة في تلك الفترة مثل: محمد ديب، مالك حداد، كاتب ياسين وغيرهم.

– الشخصيات الروائية التي وظفها مولود فرعون في روايته قد وظفها بذكاء ووفق في رسم الشخصيات الثانوية وكذا الشخصية البطلية "عامر" التي تدور حولها الأحداث ولذلك أبدع الفنان في رسم شخصياته إلى حد أنها تبدو للقارئ قريبة جدا من الواقع.

– لقد تحمل مولود فرعون الكثير في سبيل نقل الحقيقة، وتوضيح الواقع الذي كان معاشا في قريته ونقله بأسلوب فني جميل.

– إن هذا العمل الإبداعي ما هو إلا سيرة ذاتية، أراد مولود فرعون الكشف عن أوضاع المجتمع الجزائري والشخصية القبائلية بالذات، حيث صور أحداثا مستمدة من الواقع.

وأخيرا أشكر الله عز وجل على نعمته التي أنعم بها علي، ولولا فضل الله لما تمكنت من إنجاز هذا العمل أرجو أن أكون قد وفقت ولو بقدر قليل في إنجازته وأن أكون

قد تمكنت من الإلمام ببعض جوانبه الهامة، وقد استفدت استفادة كبيرة من هذا العمل، ويبقى على الأساتذة الكرام تصويبه وتقويمه كما أتقدم بالشكر الجزيل والكثير للأستاذ المشرف " إبراهيم كربوش " على صبره الجميل ورعايته الطيبة والذي كان سببا في إنجاز هذا العمل، ولا أنسى شكر اللجنة التي تجشمت قراءة هذه الرسالة وتوجيهها الوجهة الصحيحة والقوية، أسأل الله التوفيق والسداد وفوق كل ذي علم عليم.

ملحق

ملخص الرواية:

تعتبر رواية الأرض والدم لمولود فرعون ثاني عمل روائي له، وقد وقعت فعلا في زاوية صغيرة من بلاد القبائل وبالضبط في إيغيل نزمان، وقعت أحداثها في الفترة الواقعة ما بين الحربين العالميتين إلى غاية 1930 تبدأ أحداثها بهجرة عامر في صباه ذلك الفتى القروي من إيغيل نزمان إلى فرنسا مع أقرانه من نفس قريته والتي تقع في جبال القبائل، طلبا للرزق وإعالة عائلاتهم بسبب الوضع الشاق للعمال والفلاحين في المستعمرات وذلك للكسب الجيد في فرنسا، فعمل عامر في المنجم مع ذويه حيث كانت هناك مستعمرة كاملة من إيغيل نزمان، وبعد أن مضت عدة أشهر على تواجده هناك نسي والديه كمومة وقاسي وقرر أن لا يعود اهتم بنفسه فقط ولم يقبل تلك الصفقة وهي أن يوفر لهما قضاء شيخوخة سعيدة كان أحيانا يتذكرهما فيشعر بالذنب ولكن سرعان ما يتناسى ذلك، في غيابه عانى والديه المسنان من الفقر وعرفا البؤس والحرمان وأحزنهما عودة عدم عودة ابنهما الوحيد فاعتبراه بذلك ولدا عاق.

ومع توالي ظروفهم القاسية وشدة الفقر قررا أن يبيعا قطع الأرض الواحدة تلو الأخرى لأجل أن يعيشا من ثمنها، و بعد مرور خمسة عشر سنة في الغربة التي عانى فيها الألم والصراع هنالك عاد عامر إلى قريته وأرضه مصطحبا معه زوجته الباريسية، وعند وصوله لاحظ الفرق بين قريته وفرنسا من حيث المظهر، وجدها كما هي لم تتغير (طرقها، حقولها، ومنازلها)، عاد ليحتل مكانته بين أقربائه بدأ يجدد الصلات ومادام تنسج العلاقات، إحتاج عامر عامين كي يصبح قبائلي من جديد، والشيء الذي أحزنه أثناء عودته هو وفاة والده قاسي، وخاف أن يكون قد مات حزنا عليه وأنه هو السبب في ذلك، فرحت كمومة بعودة ابنها، إجتمع شمل الأسرة عامر و زوجته وأمه، لكن كمومة لم تكن راضية بزواجه من فتاة باريسية، كانت ترى بأن الزوجة المناسبة لابنها توجد بين فتيات قريته، كان عامر أثناء غربته قد تورط في قتل عمه رابح بغير قصد حيث أن عائلة آيت حموش قد قطعوا وعدا بأن

يثأروا وينقضوا شرفهم، فسليمان قد قطع وعدا بأن ينتقم من عامر لشرف العائلة فأصبحت هناك عداوة بين العائلتين.

كما أن نشأت علاقة حب بين عامر وشابحة زوجة سليمان كانت في البداية مجرد مشاعر مختبئة، ولكن من خلال الحيلة التي وضعتها العجوزان كمومة وسمينة أم شابحة تطورت العلاقة بينهما وأفصحا عن حبهما لبعضهما البعض، ف وقعت الخيانة واستمر لقاءهما السري إلى أن اكتشف سليمان ذلك بنفسه، ففجر المنجم ليقضي على عامر منتقما منه بموته لانتهاكه حرمة شرفه وخيانته له، ولكن سليمان كذلك توفي بعد عامر بوقع صخرة كبيرة عليه لتكون النهاية مأساوية.

التعريف بالكاتب:

"ولد مولود فرعون 8 مارس 1913، قبيل الحرب العالمية الأولى بمنطقة تيزي هيبل بقبائلية وينتمي إلى آل شعبان، إلا أن الإحتلال هو الذي أعطاه اسم فرعون ... ولد فرعون في عائلة فقيرة وفي مثل تلك الظروف كان يسهل التنبؤ بمستقبله: راعي أغنام في قريته، إلا أن الأقدار قدمت له الكثير فعلى الرغم من الفقر المدقع أصر والدته على إرساله إلى المدرسة الإبتدائية"¹.

" التحق فرعون بالمدرسة الإعدادية في تيزي وزو عام 1928، وفي مدرسة المعلمين ببوزريعة بالجزائر العاصمة بعد ذلك، ورغم وضعة البائس تمكن من التخرج في مدرسة المعلمين، وانطلق للعمل بعد تخرجه فاشتغل بالتعليم حيث عاد إلى قريته تيزي هيبل التي عين فيها مدرسا سنة 1935 ميلاديا في الوقت الذي بدأ يتسع فيه عالمة الفكري وأخذت القضايا الوطنية تشغل اهتمامه"².

"تعين في 1946 مديرا لمدرسة ثاوريرت موسى، وجميع من كانوا على اتصال به يشهدون له كيف كان يبذل كل ما لديه من طاقة في سبيل تلامذة المدرسة"³.

"سنة 1960 مديرا لإحدى الإدارات التعليمية. أما في عام 1957 فقد التحق بالجزائر العاصمة مديرا لمدرسة (نادور) في (المدينة حاليا) كما عين سنة 1960 مفتشا لمراكز اجتماعية كان قد أسسها أحد الفرنسيين في 1955 وهي الوظيفة الأخيرة التي اشتغل بها قبل أن يسقط برصاص الغدر والحقد الاستعماري في 15 مارس 1962"⁴.

¹ مولود فرعون، ابن الفقير، ترجمة نسرین شكري، المركز القومي للترجمة، ط1، 2010، ص: 8-9.

² م . ن، ص09.

³ يوسف نسيب: مولود فرعون حياته وأعماله، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر -

1991، ص: 07.

⁴ مولود فرعون: ابن الفقير، م . س، ص: 10.

"رغم الظروف الصعبة والفقر الذي نشأ فيه مولود فرعون إلا أنه يعد من أهم الكتاب والأدباء الجزائريين الذين جاهدوا بأقلامهم في سبيل وطنهم المستعمر ويعد أحد مؤسسي الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، حيث كانت له مجموعة روايات مكتوبة باللغة الفرنسية. نشر مولود فرعون عام 1950 ابن الفقير وفي سنة 1953 ظهرت له رواية الأرض والدم، وفي عام 1957 الدروب الصاعدة وصدرت يومياته سنة 1969 في كتاب مستقل يحمل عنوان مولود فرعون، رسائل إلى الأصدقاء وأخيرا نشرت روايته الذكرى عام 1972 ويعد فرعون أحد كبار كتاب المغرب العربي ذوي التعبير الفرنسي شهرة".¹

اشتهر مولود فرعون بروايته الأولى ابن الفقير حيث أنها تعد من أهم الأعمال الأدبية له، والتي لايزال اهتمام النقاد بها متواصلا بحيث تعتبر سيرة ذاتية تصف طفولته ومراهقته، ترجمت لعدة لغات منها الألمانية والروسية والبولونية والعربية.

من أقواله: " أكتب بالفرنسية، وأتكلم بالفرنسية لأقول للفرنسيين: إني لست فرنسيا"².
فرعون الجبائلي:

" نحن جبائليون ... جبائليون خشان " هكذا يقول ابن الفلاح الفقير .."³.

¹ حفناوي بعلي، الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، م . س، www.ingdz.net .

² مولود فرعون: الابن الفقير، م . س، ص: 07.

³ يوسف نسيب: مولود فرعون حياته وأعماله، م . س، ص: 11.

آراء بعض النقاد في مولود فرعون:

كان للنقاد جملة من الآراء نحو مولود فرعون، فهي بمثابة شهادة لمكانته الأدبية وصفاته الأخلاقية التي كان لها تأثير على الآخر، وتظهر في بعض هذه الأقوال:

صرح جرمان تيبون في جريدة: le monde " كان مولود فرعون كاتباً من أصل أصيل، ورجلاً معترًا بنفسه ومتواضعاً في نفس الوقت، ولكنني عندما أفكر فيه، فأول فكرة تخطر ببالي هي: طيبة القلب ... وكذلك كان: رجلاً أميناً، رجلاً طيباً، رجلاً لم يؤذ أي إنسان أبداً، وكرس حياته للصالح العام"¹

كما صرح إدريس شرابي في: Cahiers de L'O.R.T.F " كان مولود فرعون يعتبر بيننا أحسن الكتاب، بما ليس فيه مجال للمقارنة، ولم يكن يتعاطى صناعة الأدب، بل كان يصدر في كتاباته عن الواقع، بأسلوب متجرد، بسيط مثلما كان في حياته بسيطاً ويتحدث بكل صدق وبطريقة تجلو الصدأ في القلوب."²

كذلك عبد القادر خطيبي من جهته صرح في كتابه Le Roman maghrébin " كان رجلاً كريماً، متمسكاً بالحر، وتباطأ بعض الشيء في الانضمام إلى الحركة الوطنية، وكان حريصاً على أن لا يؤذي أحداً"³

وصرحت فاني كولونا في رسالتها الجامعية (دراسات معمقة) برأيها فقالت: " كان قبل كل شيء مدرساً، مشغولاً إلى أقصى حد بشؤون أسرته ومهنته"⁴

¹ الرواية: ص: 151.

² الرواية: ص: 151.

³ الرواية: ص: 152.

⁴ الرواية: ص: 152.

أما رأي ج. دوجو، في كتابه *Littérature maghrébine de langue française* " كان رجلا هادئ البال، وبقي على الدوام متواضعا، بسيطا محتشما، في الوقت الذي كان فيه غيره يتزاحمون للبروز، وما من شك أن موته المفجع قد أصاب في الصميم جميع أولئك الذين يناضلون من أجل التقارب بين الناس، من ذوي النوايا الطيبة"¹.

¹ الرواية: ص: 152.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

- المصادر:

1. مولود فرعون: الأرض والدم، ترجمة عبد الرزاق عبيد، دار تلاتنيت - بجاية - 2015.

- المراجع:

1. إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط ج1، دار الدعوة استانبول، تركيا، 410 هـ-1989.

2. أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الطبعة الخامسة، دار الرائد للكتاب الجزائر سنة 2007.

3. أحمد بن فراس: معجم مقاييس اللغة بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1972.

4. أحمد منور الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره وقضاياه ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 4-2017.

5. جاسم محمد جاسم: جماليات العنوان مقارنة في خطاب محمود درويش الشعري، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - عمان - الأردن ط1، 2013-2014 م.

6. جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط2، يناير 1984.

7. جعفر الشيخ عبوش: السرد ونبوءة المكان، دار غيداء للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2015م-1436هـ.

8. حلمي مرزوق: الرومانتيكية والواقعية في الأدب " الأصول الإيديولوجية " دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان - 1983.
9. حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - ط1 سنة 1991.
10. سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية المكتبة العصرية صيدا بيروت.
11. سناء سلمان العبيدي: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، الكتبة الوطنية دار غيداء للنشر والتوزيع 2015، ط1، 2016م-1437 هـ.
12. سناء سلمان العبيدي: الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، دار غيداء للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط1، 2016م-1437هـ.
13. سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة مهرجان القراءة للجميع 2004.
14. صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف القاهرة، ط 2، 1980.
15. الطيب بودربالة، السعيد جاب الله: الواقعية في الأدب مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد السابع، 3 فيفري 2005.
16. الطيب ولد العروس: أعلام من الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة، 91 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة 1600.
17. عباس أحمد أرحيله: العنوان حقيقته وتحقيقه في الكتاب العربي المخطوط، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ط1، 2015-1436 هـ.
18. عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب - مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها - إتحاد الكتاب العرب دمشق (سوريا)، 1999.

19. عبد الرزاق الأصفر: المذاهب الأدبية لدى الغرب، إتحاد الكتاب العرب دمشق سوريا، 1999.
20. عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974) دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.
21. عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983.
22. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شعرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت - صدرت السلسلة في شعبان 1998 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1990-1923.
23. فاروق العمراني: تطور النظرية النقدية عند محمد منذور، الدار العربية للكتاب طرابلس - ليبيا، ط1، 1988.
24. فريال كامل سماحة: رسم الشخصية في روايات حنامينة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع عمان - الأردن - ط1، 1999.
25. مجدي وهبة كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب مكتبة لبنان - بيروت - ط2، 1984.
26. محبة حاج معتوق: أثر الرواية الواقعية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1994.
27. محمد السيد إسماعيل: بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، إصدارات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط1، 2002.
28. محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري تقديم أ.د. عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (دط) 2006.
29. محمد بوعزة: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان - بيروت - ط1، 1431 هـ - 2010 م.

30. محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر 1983.
31. محمد منذور: الأدب ومذاهبه، دط، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د ت).
32. محمود قاسم: الأدب العربي المكتوب بالفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب الألف كتاب الثاني سنة 1996.
33. ميساء سليمان الإبراهيم: البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، مطابع وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق - ط1، 2011.
34. نبيل راغب: المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1988.
35. نسيب الشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، الإبتاعية، الرومانسية الواقعية، الرمزية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1984.
36. واسيني الأعرج، إتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (دط) 1986.
37. يوسف نسيب: مولود فرعون حياته وأعماله، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر - 1991.
38. يوسف نور عوض: نظرية النقد الأدبي الحديث، دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة، ط 1، 1414-1994.

- الرسائل الجامعية:

1. جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، دراسة سوسيو نقدية المشرق، عز الدين المخزومين أطروحة لنيل الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، السنة الجامعية 2010-2011.
2. حبيب فاطمة الزهراء: ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية رواية بما تحلم الذئاب لياسمينه خضرا، دراسة تطبيقية إشراف د بلقاسمي حفيفة مذكرة لنيل شهادة الماجستير جامعة وهران 1 أحمد بن بلة سنة 2015-2016.
3. صليحة بردي: التأثيرات الأجنبية في أدب مالك حداد، إشراف عبد القادر توزان مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، تخصص الدراسات الأدبية المقارنة في الأدب الجزائري جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف سنة 2011-2012.

- المجلات والدوريات:

1. حفناوي بعلي: الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية الذات المعلومة وأسئلة الحداثة جامعة عنابة - الجزائر، مقارنة في خصوصية الأدب العربي الحديث.
- www.scribd.com
- www.ingdz.net
2. الطيب بودربالة، السعيد جاب الله: الواقعية في الأدب، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع.
3. غنية كبير: النقد الأكاديمي الغربي وتلقيه للرواية الجزائرية التأسيسية والتأصيلية اليوم الدراسي الوطني الثالث حول السرد " فلسفة السرد " نظمه قسم الأدب العربي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج يوم 2016/04/10.

- المواقع الإلكترونية:

1. <http://9alam.com> بتاريخ 2018-03-15 على الساعة 17:40.
2. <http://ar.m.wikipedia.org> بتاريخ 2018-03-15 على الساعة 18:01.
3. <https://ar.m.wikipedia.org> بتاريخ 2018-03-15 على الساعة 17:57.

فهرس الموضوعات

مقدمة ب

الفصل الأول

المبحث الأول: الواقعية في الأدب 5

1- مفهوم الواقعية 5

أ- لغة 5

ب- اصطلاحا 6

2- نشأة الواقعية وتطورها 8

3- اتجاهات الواقعية 11

أ- الواقعية النقدية 12

ب- الواقعية الإشتراكية 14

ج- الواقعية الطبيعية 17

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية 19

1- واقع الرواية الجزائرية 19

أ- نشأة الرواية الجزائرية 19

ب- لمحة عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية 22

2- أهم رواد الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية 26

أ- محمد ديب 27

ب- مالك حداد 28

ج - كاتب ياسين 29

د- مولود معمري 30

هـ - آسيا جبار 31

الفصل الثاني

- البناء الفني للرواية 33

1- العنوان 33

2- الشخصيات 37

3- المكان 51

4- الزمان 57

5- اللغة 61

6- الحوار 62

خاتمة 68

ملحق 72

قائمة المصادر والمراجع 79

ملخص

ظهرت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، والتي تعد متقدمة على الرواية المكتوبة باللغة العربية نظرا لظروف المجتمع الجزائري في الحقبة الاستعمارية، ويعد مولود فرعون من الأدباء الجزائريين الذين كتبوا باللغة الفرنسية ومن المتأثرين بالاتجاه الواقعي وكانت روايته "الأرض والدم" أنموذجا لذلك، وهي تعالج حياة وظروف المجتمع الجزائري إبان الاستعمار وتظهر ملامح الواقعية من خلال البناء الفني للرواية (العنوان، الشخصيات، المكان، الزمان، اللغة، الحوار).

Summary

The Algerian novel that is written in French language is considered as well developed compare to the Algerian novels that are written in arabic language due to influence of the French colonists on the Algerian society. Mouloud Faraoun is one of the authors that are influenced by both the french culture and realism school and his ideology is illustrated in his novel "The earth and the blood" which is a story about the circumstances of the Algerian Society during the french colonization, where the follows realism techniques such as setting plot, character (Title, personalities, Place, time, language and dialogue).

Résumé

Le roman algérien de langue française est un roman à traduit les sourcis et la souffrance de la société algérienne dans la période de colonisateur français ce roman était plus présent et plus développé que le Roman algérien d'expression arabe, Mouloud Feraoun est l'un des écrivains algérien d'expression français il était réaliste dans ses romans influencé par le Courant réalisme surtout dans son roman "la terre et le sang", il s'est attaché à être un témoin réaliste déchirements de l'Algérie. on peut distinguer les caractéristiques de réalisme dans ce roman (Titre, personnage, le lieu, le temps, la langue et le dialogue).